بين سهاد القلم وتمتمات القلب

حشيش خلود

بين

سهاد القلم

وتمتمات القلب

حشيش خلود

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : بين سهاد القلم وتمتمات القلب

المؤلف: حشيش خلود

غلاف الكتاب: منى وجيه

موك اب الكتاب: سها منصور

تنسيق داخلي: منى وجيه

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكترونى

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الإهداء

إلى من يقرأني الآن...

مرحبا بك بين أسطري، بين أبجديات كتبت حين سهرت عيوني، وضاق صدري، وبكى قلبي الذي لم يجد من يسمع وشوشاته غير الورق.

إلى أولئك الذين يسهرون...

يسهرون...ولا يكتبون، لكن قلوبهم متخمة بالحبر.

إلى من داقوا لذة الحب، ولوعة الوداع..

إلى من يعتزون باختلافهم، وجعلوا نهايات السقوط بدايات للنجاح، إلى من يقرؤون أنفسهم في أسطر نثرها الغريب..

إليكم..

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

دعـــوا المقـــل تنســـاب علـــى مـــوج هاتـــه الكلمـــات، علكـــم تجـــدون فـــي ســـهاد قلمـــي شـــيئا يشـــبهكم، أو تســـمعون بـــين تمتمـــات قلبي صدى نبضكم.

خلود...

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لعنة كتاب!

جالــت حــدقتاي علــى أوراق الكثيــر مــن الكتــب، بصــحبة فنجــان مــن الشــاي وضــوء شــمعة يتمايــل لهيبــه ليضــفي دفئــا لجلســتي تلــك، كانــت تلــك هــي طقــوس المطالعــة بالنســبة لــي، لكننــي اليــوم وجــدتني أطــالع كتابــا لــيس مــن ورق، كتابــا لا تنــار صــفحاته، ولا تــرى كلماتــه، أبجدياتــه ليســت تلــك التــي يخطهــا الحبــر، ولا غــلاف ثابــت لــه، فكــل ليلــة يظهــر بحلــة جديــدة، أحيانا تكون بالية وأحيانا أخرى بهية.

كــان موعــدنا ثابتــا لا يتغيــر، يظهــر فقــط حينمــا تنطفــئ أنــوار النهــار وتنتشــر نجــوم اللّيــل، حينمــا يعــمّ الهــدوء الأرجــاء و يخلــو الجــوّ مــن أنفــاس البشــر، يتطــاير قبــالتي

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وكـــأنّ ملاكـــا مـــا يحملـــه ويحطّـــه بـــين أنـــاملي، واجهَتــه ملامحــي -تلــك التــي تــارة يســودها الحـــزن، و تـــارة أخـــرى تلمـــع بشـــعلة الأمـــل- تســـتولي علـــى أول صـــفحة أحاديـــث قلبـــي، فلطالمـــا كانـــت لـــه الســـيادة فـــي قيـــادتي، يـــروي تفاصـــيل الحـــرب التـــي خاضـــها لســـتّة ســـنون، حـــرب انتهـــت علـــى أرض الواقـــع وأبـــت أن ترحـــل عـــن أراضـــيه؛ و أمّـــا التّاليـــة فكانـــت ردود عقلـــي، ردود قاســـية تُنـــزف قلبـــي، لكنّنـــي لـــو أتّبعهـــا ســـأنجو حتمـــا مـــن الجحـــيم الـــذي أرتمـــي فيـــه. أقلّبهـــا فأجـــد خلاصـــة لمعركـــة القلـــب، تلـــك التـــي تُعـــرف بـــأنّ لا أحـــد فيهـــا ينتصـــر، تـــأتي فقـــط لتُنـــزف ثنايـــا الـــرُّوح، وتثيـــر فوضـــى الحـــواسّ ثـــمّ تخمـــد دون

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

تحديـــد الفـــائز وتعـــاود الاشـــتعال فـــي حـــين آخر.

اســـتمرّ فـــي التّقليـــب لأجـــدني مـــرة بطلـــة لفصـــل عنوانـــه "جثـــة فـــي عـــالم الأحيـــاء"، محاوطة بكفن أسود نُسِجت عليه حكايا الفقـــدان، ذكريـــات أحبّـــة رحلـــوا دون عـــودة لكـــنّهم مـــازالوا بـــالفؤاد أحيـــاء، لازالـــت العـــين تبكـــيهم، والفـــاه ينـــاديهم، والقلـــب يشتاق

ويحـــنّ إلـــيهم، أمواتـــا مـــا فقـــدتهم فحســـب بـــل فقـــدت معهـــم نفســـي، ســـندي وأجمـــل لحظـــاتي، تمـــر ذكـــراهم فتخنقتـــي الغصـــات، وتتهاطـــل العبـــرات، ويـــربط هواجســـي العجـــز عـــن لقيـــاهم، تجتـــاحني رغبـــة فـــي

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الصـــراخ لكنّـــي أبيـــت بكمـــاء لا يتجـــاوز صوتي دواخلي!

أنهيــه فأجــدني انتقلــت لــدور آخــر لفصــل تــوج بـــ "تجاعيـــد خفيـــة" أتجـــوّل فيـــه بملامـــح شـــابّة يافعـــة تبلـــغ اثنتـــي وعشـــرين ربيعـــا، تجـــول المتاهـــات وتعبـــر طرقـــات الحيـــاة خافيـــة مـــا فقدتـــه ومـــا تصـــدع بـــداخلها بطبقـــة مـــن كونســـيلر، لتصـــل فـــي يـــوم مـــا إلـــى نفـــق الأشـــعّة السّـــينية، أشـــعة كشـــفت عـــن عجـــوز جحمرشـــة تختبـــئ تحـــت جلـــد العشـــرينية، انْتـــدَحت التّجاعيـــد علـــى آرابهـــا، كـــلٌّ منهـــا تـــروي قصّـــة ســـقوط وانـــدحار، وأخـــرى لفـــوز وانتصـــار، ظهـــر متحـــدّب تثقلـــه أغبـــرة العثـــرات ولآلـــئ الأحلام.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

مـــرّت السّـــنون والصّـــفات لازالـــت تُخَـــطّ، والأقـــدار لازالـــت تُكتـــب، أحيانـــا تتغيّـــر أمـــاكن الأبجـــديّات، وأحيانـــا تختفـــي أخـــرى، وكـــأن لعنـــةً مـــن السّـــحر قـــد أصـــابت ذاك الكتـــاب، كتـــابٌ لـــن ينتهـــي إلا إذا توقّـــف سهميَ عند آخر أرقام عمري!

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أهازيج الأمومة

الحياة شيء معقّد، بدايته بعيدة عنّا ونهايته تلك الدّانية القصيّة، حينما نحاول فهمها يتّضح كبدُ الأفكار وخارجُها يتغشّاه الغيب والغموض! لكنّنا نوقن دوما أنّها لا تخلو من أعمدة ينتصب عليها كلّ شيء، ومنها يستمدّ اتّزانه، وتلك حكمة من عند الله، وكون الإنسان أعظم خلق عند الله عزّ وجلّ فهو الأكثر حاجة إلى هذه الأسس، فحينما نسأل عن أساس المجتمعات أول ما يتبادر إلى أذهاننا هو ما يُكوّنِ الإنسَ منذ ولادته إلى حين وفاته، ستختلف الفرضيات و تُستخلص الكثير من

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

النّظريّــات، لكــن ســيظل أهــمّ أســاس لتكــوين الفرد هو أسرته.

فــي زمننــا هــذا لا يغيــب عــن أنظارنــا كميّــة الفشــل التــي تظهــر فــي خلــق فــرد خــال مــن العقــد النفســيّة، ومتشــبِّع علميــا ودينيــا، إنّ الأجيــال الحاليــة تفتقــر لأبســط حقوقهــا، وهذا يعود للكثير من العوامل.

فكــل أب وأمّ يكبــران مــع نــواقص وعقــد تســبّب فيهــا والــداهما، لا يســعيان أبــدا لأن يتخلصــا منهــا، أو أنّهمــا يعــاملان طفلهمــا علــى أســاس: مثلمــا عشــت أنــا ســتعيش أنــت، حرمــت أنــا مــن ذاك و هــذا فلــيس بــالأمر السّــيء أن تحــرم أنــت أيضــا، ضــربت ضــربا مبرحــا فلابــد أن تضــرب أنــت أيضــا! وغيرهــا الكثيــر.. لمــاذا يســعى

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

معظمنـــا إلـــى تفريـــغ غضـــبه فـــي طفـــل لا ذنـــب لـــه بمـــا عشـــناه ســـابقا؟ لمـــاذا نطبّـــق مقولـــة -فاقـــد الشـــيء لا يعطيـــه- ولا نحـــاول اثبـــات أن فاقـــد الشّـــيء يمكـــن أن يعطيـــه وبوفرة أيضا؟!

أنـــا هنـــا اليـــوم وبعـــد مـــروري بالعديـــد مـــن المواقـــف أيقنـــت أنّ أكثـــر شـــيء يُـــدمِّر الإنســـان أو يبنيـــه هـــو مـــا يعيشـــه مـــع أســـرته، فـــإن أحـــيط بالأمـــان، وشُـــبِّعَت هواجســـه بالحـــبّ، وغُرســـت فيـــه جـــذور الثّقـــة بـــالنّفس، وعـــاش متيقّنـــا أنّـــه مهمـــا أســـقطته الحيـــاة ســـيظلّ بإمكانـــه الاســـتناد علـــى أنـــاس يجمعهـــم ســـقف ملجئِـــه، أمّـــا إذا اختلّـــت إحـــدى المعـــايير ســـيواجه العـــالمَ ناقصـــا، ســـيحاول مـــلأ الفراغـــات التـــي

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

رسـمتها عائلتـه فـي جوفـه بمحاولـة امتصـاص مـا يفتقـره مـن الغربـاء، وينتهـي به المطاف مخذولا أشدّ الخذلان!

ومـن هنـا تتفـاقم الأوجـاع وتتوسـع التّصـدّعات وتتـوارث نفـس العقليـات لننجـب أجيـالا كـلّ آتٍ منهـا أسـوأ مـن سابقه.

مـن هنـا بـدأت تتضـارب فـي كبـدي الأفكـار، وتـزاحم هـدوئي فوضـى مشـاعر تملـي علـيّ أنّ عشـقي للأطفـال و حماسـي لأكـون أمًّـا لـيس بـالأمر الهـيّن الممتـع كمـا كـان يُخـال لـي، إنّ لقـب "أم" لقـبٌ بـاهظ الـثمن، لقـبٌ يتطلّـب أن أجاهـد لأنالـه منـذ الآن، فكـوْني لا اتحمّـل سـوى مسـؤولية نفسـي سـيمنحني فُرصـا لأغيّـر الكثيـر، أن

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أكــون أمّــا يتطلّــب منّــي أن أتشــافى مــن كــلّ آلامــي، أن أمــلأ فراغــاتي و أبــدّد نواقصــي، أن أخــرج مــن حيّــز الضّــحية و أغــدو محاربــة لكــلّ أنــواع الأذيّــة بمنطــق، أن أغــدو أكثــر هــدوء و ثقــلا، أن أتثقّــف و أتشــبّع بالمعلومــات حتــى يتســنى لــي أن أبــدّد الغمــوض عنــد أطفــالي و أنــا متأكّــدة مــن صــحّة أفكــاري و إجابــاتي، أن أمــنح السّــيادة لعقلــي بــدل قلبــي حتــى لا أجعلهــم أناســا عــاطفيين ينكســرون عنــد أول منعطف مثلي!

و أهــم شــيء أن أربّــي ذاتــي، أن أربّــي فــاهي فــأتخلى عــن ألفــاظ لا يليــق بهــم تلفُّظها، أن أصــلح دينــي فــأبني بيتــا لا ينــام فيــه أحــد عــن صــلاة الفجــر، بيــت يعلــم أن

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الأســـحار للاســـتغفار لا للنـــوم، وأنّ قـــرآن الفجـــر مشـــهود، وأنّ ركعتـــي ضـــحى تعـــادل ٣٦٥ صـــدقة فـــي اليـــوم، وأن الأذان هـــو اتّصـــال مـــن الله لابـــدّ مـــن الـــرد عليـــه، وأنّ الصّـــلوات الخمـــس ليســـت فرضـــا ثقـــيلا بـــل راحـــة وطمأنينـــة، وأنّ القـــرآن مـــا زاحـــم شـــيئا إلا بـــارك فيـــه، وأنّـــه شـــفاء للقلـــوب والنُّفـــوس، وأنَّ الـــذِّكر لـــه لـــذَّة لا يتـــذوّقها إلا مـــن داوم عليـــه، أن أعلّمهـــم أنّ لهـــم سندا واحـــدا لا يميـــل ولا يـــذهب وهـــو الله عـــز وجـــل، فـــإذا حـــدث وخـــاب ظـــنّهم بـــي سـيلجئون إلـــى مـــن هـــو أحـــقّ بـــاللّجوء دون أن تُخـــدش جـــدرانهم، ســـأعلِّمهم أنّ مـــن شـــكى لله وهـــو ســـاجد حتمـــا ســـيتبدد همّـــه و يـــزول غمّـــه، ســـأعلّمهم أنّ البكـــاء بـــين يـــديّ

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الله أجمـــل إن لـــم يتســـنّى لهـــم البكـــاء بـــين احضـــاني، ســـأزرع فـــي قلـــوبهم يقينـــا أنّ الـــدّنيا تســـاوي العـــيش فـــي رحـــاب الله وبدونـــه لا لـــذّة للحيـــاة. سأســـعى ليكونـــوا واثقـــين مـــن أنفســـهم للحـــدّ الـــذي يجعلهـــم يتواضـــعون وقـــت النجـــاح ويعتـــذرون وقـــت الخطـــأ دون أن يـــنقص ذلـــك مـــن قيمـــتهم شـــيئا، ســـأعلّمهم أنّ الكرامـــة لا مكـــان لهـــا فـــي عـــالم الحـــبّ، فالحـــبّ أن تتنـــازل وتُضـــحِّي ويُضـــحَّى مـــن أجلـــك، ســـأعلّمهم كـــلّ مـــا علمتنـــي إيـــاه عثـــرات الحيـــاة، ســـأبذل قصـــارى جهـــدي لأكـــون أساســـا لهـــم ولأســـرتهم ولكـــل مجـــتمعهم، ســـأفتح لهـــم الآفـــاق ليصـــبوا نحـــو أحلامهـــم، ســـأكون نِدَّهم إلى آخر نفس لي.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

هــذا مــا علينــا فعلــه كلّنــا، علينــا أن نصــلح مــن أنفســنا مــن أجــل ذواتنــا ومــن أجــل أرواح أخرى ستكون فلذات لكبدنا.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

بين ريعانة وهِرشفَّة

فـي كبـد الحيـاة تتلاعـب بـي الفواصـل بـين سـهام الزّمـان، أتـأرجح بـين فنـاء العمـر واليرعـان، تـارة أتلـثّم بملامـح أنـاي الصـغيرة المضـمحلّة بـين أزقّـة الشّـباب، وتـارة أخـرى أتبَرقَـع بحُلّـة عجـوز جَحَمْرَشَـة اِحرَنْجَمَـت بـين ثناياهـا التّجاعيـد؛ فبـتُّ لوحـةً لوجـه الأمـاني الـذي لـو كسـته التّجاعيـد يبقـى طفـلا راكضـا بطيش الأحلام خلف المواعيد.

أنثـر ضـحكاتي علـى أسـطح العبـرات، وأضـع نقـاط التُّـؤدَةِ علـى أبجـديّات رَعْوَنَـةِ بائِـدِ السّـنوات، وأُطِّـلَ مـن قمـم النّهايـات على شغف البدايات..

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وبــــين الفاصـــلتين تـــروي كلتـــاي حصـــيلة الـــذّكريات، ذكريـــاتٍ خلّـــدتها خطـــوط وجـــعٍ تحـــت أجفنـــة الفـــراق، وانكماشـــات تحـــت عنـــق الخـــذلان، وخـــرائط معلقـــة علـــى فـــاه الابتســـــامات، فبـــــين نعومـــــة الصِّـــــغر وتقلُّصـــات الهَـــرم، جسّـــدتُ تـــاريخ حـــروب خُضتها بقلبٍ هُمام.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

بوابة الزمن

مــاذا لــو اِنبَلقــت بوّابــةٌ تُحلِّــقُ قُبــالتي بــين ثنايـــا الهـــواء، جوفهـــا يتغشّـــاه الظّــــلام، تطأهــا أقــدامي ســهوا فترمــي بــي فــي حُقبــة أخــرى مــن الزَّمــان! إنَّــه حلــمٌ يُــراود فكــري كلّمـــا حـــاوطني هـــدوء العتمـــات، تســـتهويني العــودة إلــى مــاضٍ حَيِيــتُ فيــه بــين أحضــان اليَرعـــان، تتضـــارب فـــي كبـــد مُخيِّلتـــي أطيـــافُ أنـــاي، تراقـــب العشـــرينية نســـختها الفتيَّـــة القصـــيَّة، تتـــراءى علـــى بصـــرها وهـــي تـــركض، خصـــلات شـــعرها تتطـــاير ونســـمات الرّبيـــع، لآلـــئ فاههـــا تضـــفي لمعانـــا لبســـمتها البريئـــة، يتبـــيّن مـــن بعيـــد أنَّ قلبهـــا لازال صـــفحة بيضـــاء لـــم تُلَطَّـــخ بمســـاوئ الحيـــاة، لـــم تتـــذوّق مـــوت الأحِبَّـــة،

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

و لا خـذلان الرِّفـاق، لازالـت تظـنُّ أنَّ أباهـا سـندها الـذي لا يميـل، وأنَّ الحيـاة لا تحمـل بين طياتها معاني السوء أو قلبا خبيثا.

تراودنـي رغبـة جنونيّـة فـي الـرّكض نحوهـا واحتضـانها والبكـاء علـى كتفهـا، ربمـا مـا أملتـه الحيـاة لنـا هـو أنّ الصّـغير فقـط مـن يلجـأ إلـى الكبيـر، لكنّنـي حقـا بحاجـة إلـى اللّجـوء إلـى تلـك الصّـغيرة التـي كانـت أنـا يومـا مـا، أريـد أن أخبرهـا أن كـلّ شـيء قـد تغيّـر، وأنّ الأقنعـة قـد تهـاوت مـن علـى أدِمَـةِ البشـر، أودُّ أن أشـكو لهـا ألـم الفـراق، والحرقـة التـي تسـكن القلـب بعـد أن يـوارى الغـالي تحـت التّـراب، أو أن أخبرهـا أنّ اللّعـب تحـت المطـر مـا عـاد مسـلّيا، بـل بـات دواء لحرقـة تتجلّـى فـي

صـــــدر الفـــــؤاد، ســــــأخبرها أنّ الأحــــــلام جميلــــة، و أنَّ الصُّــــبوّ إليهــــا أجمـــل، لكـــنّ ســــبيل الوصـــول معركــــة داميــــة؛ ســـأطلب منهـــا أن تَكُـــفَّ عـــن التَّعلّـــق، فقـــد جعلـــت منِّـــي ســـــجينة للأمــــاكن و اللّحظـــــات، للــــرّاوئِح والكلمـــــات، للمـــــدنِ وَالشَّـــــوارع والأرصـــفة والثِّيــاب، لقــد أســرتني بــين كــلِّ تفاصـــيل الطّفولــــة، أنتقـــل بـــين فواصـــل الحاضـــر والماضـــي، لكنّـــي كثيـــرا مـــا ألبـــث علـــى شـــاطئ الـــذّكريات أرمّـــم جروحـــي ببائـــد السّـــنون وأحـــاول قصـــارى جهـــدي أن أعـــيش مـــا هـــو آت مســـتمدّة منهـــا الأمـــل والقلب الشغوف.

لا يتواجـــد فـــي قاموســـي" مـــاذا لـــو عـــدت وغيرت؟"

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

بـــل إنّنــــي فقـــط بحاجـــة للعـــودة تعطُّشـــا للأمـــان الذي زخرت به تلك السّنوات.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

بين فواصل الدّيجُور والنّور

اِرتـدى الكـون حلَّـة الـدَّيجُور، فغـزى قلبـيِ طَيْسَـلٌ دامـسٌ عجِـز عـن تبديـده النُّـور، انطـوت أيـامي مـع انطـواء السّـنون، أحلامـي محرنجمـة فـي فـؤادي الـذي بـات بحـرا لُجِّيًّـا تكـاد أمواجـه تلامـس النّجـوم، انطفـأ الأمـل بـداخلي وارتـديت أقمشـة الحـزن والهمـوم، فباتـت آلامـي حجابـا مُمزَّقا يفضح كلّ مستور، أكتم الصّرخات وأزُمُّ شـفتاي وأحـبس العبـرات خلـف الجفـون، إلـى أن نـال منِّـي صـقيع الوحـدة وبـتُّ صـخرا خـال مـن الشّـعور؛ لكـنّ نبضـي أبـى الاستسـلام والمـوت كجبـان نالـت منـه الغمـوم، فصـرخ القلـب صـرخة ثـورة التّحـرّر مـن طلامـس الأسـى ولوعـة

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الكـــروب، هنـــاك انتفضـــت عنّـــي أغبـــرة الماضـــــي، وتنـــاثرت شـــظاياي كجليـــد ارتســـمت بـــين جنباتـــه الصّـــدوع، ولانـــت قســـاوتي كقطـــن ثلـــوج أجهضـــتها ســـحب الشّـــتاء أذلـــت عليهـــا جـــدائل ذهبيّـــة لشـــمس افترشـــت قلـــب السّـــماء، فحِييـــتُ مـــن جديـــد بعـــروق تســـري فيهـــا دمـــاء مـــن أدرينـــالين، بريقهـــا ينثـــر مـــن حـــولي لآلـــئ السّـــعادة والآمال.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

تحت رايات السجود

حيث تتعرّى القلوب

وتُبـــدِّد الأنفـــس مـــا عليهـــا مـــن أغبـــرة

وندوب

ناديت: يا ربّ الوجود،

يا منزل الرّخاء والبلاء

قد احرنجمت في دواخلي الغموم

وغزت ربوعي الدُّنُوف

وتساقطت الهالات من على الوجوه

فانأنفـــــت الأدمـــــة الـــــوغرة واســـــتبانت

الضّغون

وباتت روحي تعزف أهازيج الشّجون

وانطبقت شفاهي بوحا عن عجز ووُجُوم

فَثَقُلت أشجاني بفوضى يتغشّاها الهدوء،

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

إنّـــي بـــين ذراعيـــك ينجلـــي حجـــاب كـــلّ مظمُور

ويحلو لي الاغتراب عن كلّ الحشود

فهنالك تغزو صدري أنسام الخلود

وتشـــفى ثنايـــاي مـــن أوصـــاب، وتلتـــئم الرُّضوض

تتهاطل عليّ منك أكنزُ الرّدود

فتروى نفس ظمئت لرحمة الودود

لِتَنْصَـــبَّ العبـــرات الشّـــاهدات عـــن اطمئنـــان وحُبُور

ويمتلـــئ الفـــؤاد بالاكْتِنَـــاتِ والرِّضـــا بكـــلّ مـــا هو منك مقدور

ويبوح اللّسان الحامد الشّكور

قـــد رضـــيت، فالحمـــد لـــك يـــا مـــن فـــي رحابـــه يحلو السّجود.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

بين حرب اليهود وخذلان العرب

٠٧,١٠,٢٠٢٤

بـين حـرب اليهـود وخـذلان العـرب، لا زال ينـتفض تحـت الرّكـام نـبض الأمـل، أمـلٌ بـأن تتحرر فلسطين!

اليـوم مضـت سـنة عـن ذكـرى أبطـال سـلطان جسـدهم ينـبض حـبّ فلسـطين، مـن تقـدّموا بثقـة ويقـين، وفـدوْا بالـدّم حريّـة يافا وغزَّة

وقلـب جُنَـيْن، مـن لـم تُقَبِّـل أجفـانهم بعضـها الـبعض ليلـة السّـابع مـن أكتـوبر، وباتـت شـفاههم تتلـوا آيـات العزيـز الحكـيم، فختمـوا القـرآن الكـريم، واسـتهلُّوا الحـرب بركعتـي فجـر وصـدورٍ امـتلأت أنسًـا بالوكيـل، وخطـوا خطـوات الباسِـل

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الصِّـــــهميم، وصـــــوَّرُوا مشـــــاهد بطولـــــةٍ أسْـــفَرت عـــن صـــدمة غـــزت أروقـــة تـــلّ أبيـــب، كبّـــدتها الـــدماء المُســـفكة لجبنـــاء اسرائيل.

"الله أكبـــــر" كانـــــت الفاتحـــــة، ورفيقـــــة الخطى، وهُتافَةَ النّصر

والفـــلاح، خُلِّـــدت بتـــاجِ "طوفـــان الأقصـــى" بين مجلّدات التّاريخ.

مُجلـــدات خُطَّـــت برُكـــامِ القلـــوب، وفصـــول الآهـــات، تـــروي حكايـــا ظلـــم ووصـــايا تكتبهـــا العبـــرات، وبقطـــرات الـــدّم لُوّنـــت أبجـــديَّات الصرخات:

"عمـــرو ســـبع ســـنين، شـــعرو كيرلـــي، أبيضاني وحلو...

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

_يشــــهد علـــي الله لـــولاد مـــاتوا مـــن دون مـــا ياكلو

_هي إمي بعرفها من شعرها

_كنـــــا قاعـــدين، فجـــأة الصـــــواريخ نزلـــت علينا مثل المطر

_هذي روح الرّوح

_كلنا شهداء، تبكيش يا زلمة

_بينتقمو منا فلولاد ... معلش

_أنت الناجي الوحيد من أهلك؟

لا يا عمو والله أنا لي متت وهم لي نجو

_زوجـــــي مــــات، زوجـــــي استشـــــهد يـــــا جماعـــــة، ربنـــــا علـــــيهم، أبــــوكي استشـــــهد، أبوكي مات

_مين بيصحيني لصلاة الفجر يابا!؟"

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

كانــت تلــك هــي العنــاوين، لفصــل دُوِّن علــى فاصــلته "مــا أشــبه اللّيلــة بالبارحــة"، وكــأنّ فلســطين قــد عــادت إلــى الماضــي البعيــد، فحالــت جنّاتهــا المخضــرّة إلــى مسلســل هزلــيّ تُعــرض لقطاتــه بلــونين: أبــيض وأســود، والرمــادي يوقِــد بينهمــا مشاعر الحنين.

حلقــات تعــرض علــى أبصــارنا بيوتــا باتــت حطاما، أسرا أسرت،

وطفولــة قتلــت، ودمــاء ســفكت؛ جثــث بــلا أكفــان، بطــون ضــمر جيــاع، أفــواه تيبســت تعطشــا لقطــرات الميــاه، ورئتــان بــدل الأثيــر تتــــنفس أغبــــرة الركــــام! وعدســــات الكــاميرات لا تتــراءى خلفهــا ســوى أحبــة بــلا قبــور، علــى وجــوهــم لــم تغفــى

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الجفــــون، تتلاشـــــى بـــتلات الـــــورد علـــــى العيـــون، وتتنـــــاثر روائــــح المســــك بـــين الرّبـــوع. فبـــين الأزقّـــة الـــدّاميات، وعلـــى أســـطح الطّرقـــات، باتـــت دمـــاء الشّـــهداء وأشـــلاء الأجســـاد شـــامات تســـطّر صـــدق الوعد "بأن تحيا فلسطين".

انكشـــطت الأيـــام واكتملـــت لوحـــة الثلاثمائـــة وخمسة وستين،

وامــــتلأت جنباتهـــا بصــــرخات شــــعب ســــلبت منـــه أراضـــيه، شـــعب انـــتفض ليحـــرر زوايـــا وطنـــــه المحتلـــــة فبـــــات ضـــــحية لأبشـــــع الجرائم

والاعتــــداءات، جــــرائم أبـــت محـــاكم الـــدنيا أن تردعهـــــا، لكـــــن وعـــــد الله قـــــائم، ومحكمـــــة السماء تمهل ولا تهمل!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

فعـــذرا يـــا حبيبـــة الفـــؤاد، عـــذرا يـــا أرض الأنبيـــاء، مـــا وســـعت أنـــاملي ســـوى أن تزفـــك عروســـا بـــين الصـــفحات، أمـــلا بـــأن تعودي يوما ما حرة ونقيم الأعراس.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

رمادية أنا

رماديّة أنا ..

بين طهارة الأبيض، وكبرياء الأسود

تجــدني بــين كلمــات مــن دون موســيقى،

وبين موسيقى بدون كلمات..

بين ابتسامة حزن، ودمعة فرح..

بــين حمــرة الخريــف وخضــرة الرّبيــع،

وبين صقيع الشتاء

وصيهد الصّيف..

لــم أنتمــي للنّهــار ولا للّيــل، بــل اختــرت أن

أكــون خــيط فجــر أرجٍ يُقبّــلُ النّجــوم وداعــا،

ويُلوِّح للشَّمس احتفاء.

تلــك هــي أنــا أتــأرجح بــين خِــلٍّ وود، كلمــا

اقترنا زدت سرمديّة

ولاقت بي أحرفي "خلود".

ملكة التناقضات

لطالما سعيت لأُشيِّد عالما خاصا بي، عالمي الذي أصبحت فيه ملكة يصعب إرضاءها، "ملكة التناقضات"، فعلى قدر بساطتي أجدني معقّدة في واقع معاكس لقناعاتي، مغرمة بقلبي الذي يشعر بالنقاء اتجاه الجميع، يدفعني لأحسن الظّن، وأتصرّف بعفويّة كطفلة تجهل أبجديّات الشّرّ والبشاعة، أكره الاحتمالات، لا أخاف المواجهة، وتستهويني مجابهة الصّعوبات، أبوح بمشاعري دون رياء، سهلة الإرضاء، فبكلمة واحدة ترفع روحي إلى الثّريّا، وبأخرى أنغرس في أعماق الأرض، متقلّبة المزاج، تارة أجنّ، فتسمع

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

ضحكاتي الصّاخبة من أبعد مكان، أتخلّى عن المنطق، ولا يهمني إلى أين وصلت أرقام عمري

وفي أيّ مكان أنا ومع أيّ فئة من النّاس، فحينها أنا فقط تلك الطّفلة التي لازال قلبها ينبض بداخلي. وتارة أخرى أصمّ أذناي عن كلّ من حولي، أقطع سيل كلماتي، وأقيم طقوس الهدوء والانفراد. أكره البدائل، أنيقة التّمرد، ولا أبالي بمن لا يلامس أوتار الفؤاد. أرمم نفسي بنفسي، قد أواسيك وأنا أغرق بين شظايا الانكسار.

سيئة جدا إذا أحببت، صعبة التّخلي، أبوح بمشاعري دون رياء، أغفر الخطايا وكأنّها لم تقترف، وأصفك للعالم

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

بأنــك المــلاك، أثــور لحظــة الغضــب وأحــرق كــلّ مــا يتعلــق بنــا، لكــن حــين يتجــدّد بــداخلي الهـــدوء أعـــود حاملـــة مشـــاعري دون أن أنقـــص منهـــا بـــذرة، وأرفقهـــا بنســـائم الاشـــتياق، أتمسّـــك للحـــدّ الـــذي يبـــدي لـــك أنّـــي بـــدون كبريـــاء، لكـــن فـــور التفـــاتي نحـــو كبريـــائي ســـأنثرك رمـــادا لـــم ولـــن تصـــيبه لعنـــــة العنقـــــاء، لا تبتلعـــــك أرضـــــي، ولا الريـــاح تنثـــرك، ســـتبقى هنـــاك تدوســـك قســـوتي، وتريـــك كرامتـــي مظهـــرا جديـــدا للكبرياء.

لا يـــراهن علـــيّ، فأنـــا حتـــى نفســـي أجلـــدها إن نســـيت مـــن تكـــون، فكيـــف بمـــن أصـــرّ أن يظـــلّ غريبـــا وقـــد شـــيّد بـــين ثنايـــا قلبـــي عرشا ثم اختار التّمرّد والعصيان!

قيود النّسب

في زمن بات الجميع يعير النّسب مرآة يعلّق فيها ذاته، كنت أنا وليدة مزيج عصبيّ، مزيجا اختار أن يكون وسطه برزخا، نصف يسوده الدّجى، يحتضن الهويّة واللّقب، والآخر يضمّ نجوما اصطفّت لتكون بوصلتي نحو ضوء يليق بي لوحدي. كلّ ما كنت أراه هو أنا، أنا بين الورق والقلم، بين نزيف الحبر ودمع الكلم، بين سمِّ الخياط والغرز، بين رشفة شاي ونبض كتاب، بين ملعقة وفرن، بين ألم وأمل، بين انهيار ومقاومة؛ أنا...بين وسادة ترتسم عليها أحلام تتهافت لها صرخات الحياة، وسقف عُلى يتسارع له نبض قلبي،

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وثريّـــا يهتـــف علـــى مســـامعها نغـــم اســـمي "خلـــود"، فينثـــر السّـــحاب رذاذا مـــدرارا، يرويني من صفاته، ويهمس لي بأعازيف نأج وخجيج ونفج، فتثار العواصف، وأنبلق من بين ثناياها عنقاء لملمت رمادها وعادت تحترق بنيران الشّغف.

***

إلى أين؟

-إلى أين؟

-إلـــى اللّاوعـــي، حيـــث كـــلّ شـــيء جميـــل، هنـــاك حيـــث تســـاكنني أنـــاي الصّـــغيرة، تبتســـم برفـــق، وتلـــوّح بيـــدها راكضـــة، تتطاير خصلاتها و هبّات الرّيح.

هنـــاك حيـــث يمكننـــي أن أرى جـــدّتي التـــي واريتهـــا تحـــت التّـــراب، أحتضـــنها وأشـــمّ ريحهـــا الطّيبـــة، واســـترجع مـــا ســـرق منّـــي منذ سنوات.

هنـــاك حيـــث يمـــازحني جـــدّي الـــذي انقطـــع صـــوته عنّـــي، وباتـــت ذكـــراه أطيافـــا أستشعرها عندما يلتهم روحي الحنين.

هنـــاك حيـــث أتجـــوّل بـــين طرقـــات قســـنطينتي، واستنشـــق هواءهـــا مـــلء

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

رئتـــاي، ويتســـنى لـــي الإحســـاس بالأمـــان والانتمـــاء اللـــذان باتـــا لا يعرفـــان إلـــيّ سبيلا.

هنـــاك حيـــث أجلـــس علـــى كرســـي خشـــبي، أحمـــل بـــين أنـــاملي كتـــابي المفضـــل، أمشّـــط ســـطوره الواحـــد تلـــو الآخـــر، وعنـــد كـــلّ نقطـــة أرتشـــف رشـــفة مـــن كـــوب الشّـــاي، مـــن حـــولي يتنـــاثر الـــورد الجـــوري، ونســـمات الرّبيـــع تعـــزف ســـمفونية تتـــراقص عليهـــا العصـــافير، يحاوطنـــا الخضـــار، وكأنّها الجنّة على الأرض.

هنـــاك حيـــث أتأمـــل عينيـــه دون وجـــل، وأنســـج مـــن كلمـــات الغـــزل قـــدرا تُقبِّـــل فيـــه راحـــة يـــدي راحـــة يـــده، تتهـــامس الـــدّقّات بـــين قلبينـــا، فنبـــوح دون كـــلام، وتتصـــقّع

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

عقارب السّاعة، فلا نخاف من أفُول شمس القدر، ولا من أن تعصف بنا زوابع البعد.

هناك حيث أحمل صغيرتي، أداعب شعيرات رأسها تارة،

وأُقَبِّلُ وجنتيها القطنيتين تارة أخرى، أضع أنملي بيدها فتمسك به بقوة وكأنها لن تفلته، أحتضنها فيغنيني ذاك الحضن عن كل شيء، عن أذن تسمع، وعقل يفهم، وقلب يحب؛ حضن صامت يرمم كل الخراب الذي بداخلي.

إلى أين؟ إلى كل التفاصيل التي أكون رفقتها أنا، لا من ترغمني الحياة على أن أكونها!

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

إلى أمّي

رُبَّما حان الوقت أخيرا لأخبرك يا أمّي بما أخفيته بين صفحات كلّ هذه السنوات، أنا لم أكبر، صحيح أن أرقام عمري تتغير في كل سادس وعشرين من شهر مارس، لكن لا شيء من روحي قد تغيّر، لازلت طفلتك الصّغيرة الرّقيقة، مرهفة الحسّ، هشّة القلب، لا زلت لا أقوى على مكابدة شدائد الحياة، ولا أن أُداري دمعي الذي يرافق آلام قلبي أو فرحة الفؤاد، فقط لو تعلمين أنّي في كلّ قسوة منّي قناع يبتغي إخفاء ما يتآكل بداخلي من أشجان، أيّامي التي أمضيتها بعبوس كانت لياليها طويلة، من هناك تبدو هادئة، لكن إن أصغيت

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لـــــدواخلي فستتنصـــــتين لصـــــرير جبــــال مهــدودات، فقــد دُكَّ قلبـــي و تفتّــت إلــى قطــع غيــر معــدودات، كنــت فــي بدايــة كــلّ ليلــة أجاهــد نفســي لتتخلّــى عــن هواهــا، لكنّــي مــا ألبــث طــويلا حتــى يجــري دمــع غاســق مــن عينــاي، و أبيــت مبلســة أتحــيّن أفــول غســق الـــدّجى، فقـــد اعتـــدت أن تشـــرق شـــمس أمــالي بعــد كــل هزيــع أخيــر مــن جُنَّــة الليــل، و للأســـف كـــان بـــزوغ الفجـــر يطـــول، أو ربمـــا أنـــا فقـــط مـــن أشـــعر أنّـــه كـــذلك، فكنـــت كلمـــا تألّمـــت أكثـــر أناديـــك فـــي صـــمت، أقســـم أنّ قلبـــي قـــد نـــاداك كثيـــرا يـــا أمّـــي، ولأنـــه جبــان لــم يقــوى علــى أن يصــدر دويّــا يلقفــه ســـمعك، فكـــلّ مـــا كنـــت بحاجـــة إليـــه رحمـــة مــن الله تتغشّـــاني، وحضـــن منـــك يحتـــويني،

نسمات الادب للنشر الإلكترونى

ربمـــا كـــان قلبـــك يســـمع أنينـــي، لكنـــك رغـــم ذلـــك لـــم تكـــوني بجـــانبي، فقـــد خشـــيت أن آتـــي أنـــا إليـــك فتختـــرق قلبـــك غمـــرات الحـــزن، وخشـــيت أنـــت الاقتـــراب منـــي ظانّـــة أنّـــي قـــد كبـــرت ومـــا عـــدت بحاجـــة إلـــى أكنّـــة ذاك الحضن.

***

نسمات الادب للنشر الإلكترونى

٤٠٠٠٥

"عمـــرو ســـبع ســـنين، شـــعرو كيرلـــي، أبيضاني و حلو...

_يشـــهد علـــي الله لـــولاد مـــاتوا مـــن دون مـــا ياكلو

_هي إمي بعرفها من شعرها

_كنـــا قاعـــدين، فجـــأة الصـــواريخ نزلـــت علينا مثل المطر

_هذي روح الروح

_كلنا شهداء تبكيش يا زلمة

_بينتقمو منا فلولاد ... معلش

_أنت الناجي الوحيد من أهلك؟

لا يا عمو والله أنا لي متت وهم لي نجو

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

_زوجـــي مـــات، زوجـــي استشـــهد يـــا جماعـــة، ربنـــا علـــيهم، أبـــوكي استشـــهد، أبوكي مات

_مين بيصحيني لصلاة الفجر يابا!"

تلـــك صـــرخات شـــعب ســـلبت منـــه أراضـــيه، شـــعب انـــتفض ليحـــرّر زوايـــا وطنـــه المحتلّـــة فبـــــات ضـــــحيّة لأبشـــــع الجـــــرائم والاعتـــداءات، جـــرائم أبـــت محـــاكم الـــدّنيا أن تردعهـــا، لكـــن وعـــد الله قـــائم، ومحكمـــة السّماء تمهل ولا تهمل!

ففـــي عـــالم يـــرفض اغتصـــاب بناتـــه فـــي إحـــدى الزّوايـــا المظلمـــة بعيـــدا عـــن الأنظـــار، وينـــتقم لـــذلك بقتـــل المعتـــدي وإنهـــاء حياتـــه ثـــأرا للشّـــرف، أغمـــض الجميـــع عيونـــه عـــن قضـــيّة امـــرأة فلســـطينية كانـــت حـــاملا فـــي

نسمات الادب للنشر الإلكترونى

شـــهرها الخـــامس، كانـــت بمستشـــفى الشّـــفاء، أجبرهـــا الاحـــتلال الاســـرائيلي علـــى خلـــع ثيابهـــا وبـــدأ بضـــربها فقالـــت مستنجدة:

" أنـــا حامـــل بالشـــهر الخـــامس مـــا تضربوني"

اســـتمروا فـــي ضـــربها طـــويلا ثـــم أخرجـــت كـــل النِّســـوة التـــي معهـــا و تُركـــت هـــي وأولادهـــا، أُحضـــر زوجهـــا وأقاربـــه، جعلوهـــا محاطـــة بالرِّجـــال، راحـــوا يغتصـــبونها أمـــام أنظـــارهم وهـــدّدوهم بقتـــل مـــن يغمـــض أعينـــه، وفـــي الختـــام أطلقـــوا الرصّـــاص وقتلوهـــا هـــي وجنينهـــا، لـــم يكـــن شـــرفها لوحـــدها ولا شـــرف عائلتهـــا، لقـــد كان شرف فلسطين

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

والعـرب والمسـلمين، لكـن لا أحـد ثـأر لـذاك الشـّرف! بكـت الأعـين دموعـا وبكـى القلـب دمــاء وتربّطــت الأيــدي عجــزا عــن الانتفاض.

وفـي عـالم تُقـدَّس فيـه الأمومـة، فيعاقـب كـلّ مـن يحـرم أمَّـا مـن فلـذة كبـدها، هنـاك فـي فلسـطين قتـل آلاف الرّضـع والأطفـال أمـام أعـين والـداتهم، قتلـوا ومـا بقيـت أجسـادهم قطعـة واحـدة بـل اصـبحت مجـرد أشـلاء! مـن بيـنهن توجـد أمّ يوسـف، أمٌّ تمـزّق قلبهـا وهـي تبحـث عـن صـغيرها ذو السّبع سنوات، تصفه بانكسار

"شعرو كيرلي أبيضاني و حلو"

أمَّـا والـده الطبيـب فلـم تقـوى أقدامـه علـى حملـه لحظـة إدراك مـوت طفلـه، كـان

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

يكـــرّس وقتـــه ليســـعف المصـــابين و هـــذه المـــرة أُحضِـــر لـــه يوســـف ميّتـــا لا تحييـــه اسعافات بعد الآن!

فـــي عـــالم تخصـــص المـــدارس للدّراســـة، والمساجد للعبادة،

والبيـــوت للتّســـتّر والأمـــان، تُهـــدَّم بيـــوت الشّـــعب الفلســـطيني، ليصـــبح متشـــرّدا لاجئـــا نحـــو المـــدارس والمســـاجد والمستشـــفيات ليحتمـــي مـــن القصـــف والحـــرّ والبـــرد علـــى حد سواء!

فـــي عـــالم تعـــجُّ نفاياتـــه بكـــلّ أنـــواع الأكـــل، أكـــل فـــائض أم أنّـــه لـــم يَطِـــب لشـــخص مـــا فقـــام برميـــه دون مبـــالاة، هنـــاك فـــي فلسـطين ينـام النّـاس جياعـا، يبكـي الأطفـال ألمـا طيلـة اليـوم، وفـي اللّيـل يبيتـون ضُـمَّرَ

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

البطـــون نيـــام! يقـــول أحـــد الصّـــحفيين "يشـــتكي لـــي الأطفـــال جـــوعهم لكـــل تلـــك الفتـــرات الطويلـــة فأنقـــل أخبـــارهم للعـــالم، لا يعلمـــون أنـــي أنـــا أيضـــا لا أســـتطيع النّـــوم ليلا من شدة الجوع".

فـــي عـــالم يبـــذل قصـــارى جهـــده لحمايـــة الطفـــل وحقوقـــه، يكتـــب أطفـــال فلســـطين أســـماءهم علـــى كـــلّ جـــزء مـــن أجســـادهم حتـــى يـــتمكن المســـعفون مـــن جمـــع أشـــلائهم بعد قصفهم!

أمّـــا محمـــد، طيـــر مـــن طيـــور متلازمـــة الحـــب، ذلـــك الطفـــل بهيئـــة شـــاب لا يفقـــه ســـوى كلمتـــين: "مـــاء"، "أكـــل"، لا يعـــرف كيـــف يـــؤذي أحـــدا، بينمـــا كـــان رفقـــة عائلتـــه بـــين أحضـــان بيتـــه داهمهـــم جنـــد اســـرائيل

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وأمروا الجميع برفع الرّاية البيضاء وإخلاء المنزل، طلبت الجدّة أن تأخذ حفيدها معها فهو لا يقوى على المشي بمفرده لكنّ الجندي منعها من ذلك، ظلّ محمد وحيدا هناك، أرسل الجندي كلبه المتوحش فراح ينهش صدر ذلك المسكين، لم يدرك محمّد ما يحلّ له، فمدّ يده يمسح بها على رأس الكلب، تلك اليد التي كانت بداية الوليمة، قطّعها بأنيابه وما كان من محمد سوى أن يقول له "خلص يا حبيبي سيبني"، لو تعلم يا محمد أن حبيبك قد نهش جسدك كلّه و أكل لحمك، لو تعلم يا محمد أنّك الآن شهيد، لو علمت يا عزيزي أنّ هذا العالم أقبح من أن يعيش فيه ملاك مثلك.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

هنـــا فـــي فلســـطين ينعـــدم الأكـــل والمـــاء، ينعـــدم الأمـــن والسّـــلام، هنـــا حيـــث تنعـــدم الحيـــاة، لا زال النـــاس يصـــرخون "لا إلـــه إلا الله"، لازالـــــوا يحفظـــــون كتـــــاب الله، ويقيمون الصلاة تحت القذف والصّواريخ!

عشـــرة قـــروء مـــن الحـــرب، بثوانيهـــا ودقائقهـــا وســـاعاتها وأيامهـــا يُعَـــذَّبُ الفلســـــطنيون، يُجَوَّعُـــون ويُغتصـــبون ويُقتَّلـــون! مجـــرد عشـــرة أشـــهر حصَّـــلت ٤٠٠٠٥ شـــهيدا! والغريـــب عـــالم بأكملـــه عـــاجز عـــن إيقـــاف هـــذه المهزلـــة ومحاكمـــة المجرم!

فـــأين أنـــتم يـــا حكـــام العـــرب؟ أيـــن أنـــتم ممـــا يحـــدث بـــإخوانكم؟ أيـــن أوامـــر الإســـلام مـــن

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

حكمكـــم؟ أيـــن القتـــال فـــي ســـبيل الله؟ وأيـــن حب الآخرة من حبّ الدّنيا هذا؟

أيـــن العـــدل يـــا عـــالم؟ أيـــن أنـــتم مـــن أوجـــاع فلسطين؟

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أغلال الوجل

فـــي أعمـــاق الأرض انغـــرس جســـدي المكـــدود لقـــروء، كلـــي تســـاكنه أتربـــة الحـــزن، تتســـلل إلـــى أشـــعة الشـــمس فـــي كـــل صـــبح، فتتنـــاثر علـــيّ تعاويـــذ الفلـــق، لتبُـــثَّ فـــيَّ أمـــلا رقراقـــا، يترقـــرق لـــه الـــدّمع فـــي المقـــل، وتتنـــاهش لـــه الأصـــوات فـــي الفكـــر، ويشـــتعل قـــدح شـــرارة فـــي مخـــزن الـــذكريات، وتســـتثار الأحـــلام مـــن معجعهـــا، فـــتهجم متزاحمـــة مُهطِعـــة تســـتوطن هـــواء الفـــؤاد، تمامـــا كمـــا الجاليـــة المهـــاجرة لأوطان جديدة يتطامنُ السّكون أرجاءها.

ثُـــرى كـــم مضـــي علـــيّ وأنـــا بـــين أطبـــاق الثـــرى، انســـلّ الوقـــت ولـــم تنسَـــلّ أحزانـــي، حاولـــت مـــرارا أن أســـطو علـــى السّـــطح مـــن

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

جديـــد، أن أصـــرخ بصـــوت لا يتهـــدَّجُ "أنـــا هنـــا، قـــد عـــدت و بيـــدي تـــرسٌ مـــن حديـــد، فهلمِّـــي أيَّتهـــا الصّـــعاب، هلمِّـــي يـــا رمـــاح الخـــذلان!"، لكـــن محـــاولتي أبـــت بالفشـــل، فلـــم يبقـــى منّـــي ســـوى كفِّـــيَ المتشـــبّث بـــأغبرة المُنـــى، أناملـــه مقيّـــدة بسلاســـل الألـــم، فـــأغمض جفـــوني فـــي وجـــل، لتتقـــافز أمـــام عينـــي أطيـــاف الأحـــلام، أحلامـــا كنـــت سأصـــبو نحـــو ثريّاهـــا ذات يـــوم، وأهتـــف هتافة الانتصار.

رغـــم كـــلِّ ذاك العجـــز كانـــت تنبثـــق بـــداخلي قـــوى، كنـــت علـــى يقـــين أنّنـــي ســـأتحرّر مـــن ســـجني يومـــا مـــا، ســـأعود وبرفقتـــي جنـــد من الآمال والإصرار.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لــم يكــن موعــدنا مصــاحبا لبــزوغ عــروس الفلــق، بــل جــاء اليــوم الموعــود يحتضــن لُــجَّ الأســحار، أتــت المنــى المتضــاربة بــين جــدران لُبِّــي فــي لوحــة تحمــل فِئامــا مــن النــاس، كنــت أســمع خطــاهم تــدُبُّ الرُّعــب في أفئدة الأتراح، تناديني بصوت شجيّ:

"أُنفضــي عنــك أغبــرة الكَمَــد، قــومي فــلا يليق بالعنقاء أن تُلحَدَ في الأغوار"

كانــت بأيــديهم شــعلات الظَّفــر بالانتصــار، فتقَلْقَــلَ النّــبض فــي ســلطان جســدي، وزُلزِلــت الأرض وتصــدّعت مــن حــولي الأقفــار، ومُــدَّت لــي يــدُ الإصــرار، ذاك الــذي كــان دومــا يقــود أهــازيجي، وينيــر لــي الــدُّروب نحــو الفــلاح، انتهــت هاهنــا حــرب الحريّــة، وأهــلا وســهلا ومرحبــا بمعــارك الحياة.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أ يا اسرائيل

أيا اسرائيل

أنا فلسطين

أنا أمّ القدس ووطن المسلمين

شاع قولك بأن مقدسي عاصمة اسرائيل

فتعـــالي أذكّـــرك بخيـــر القيـــل: القـــدس عاصمة فلسطين

يـــا مـــن ســـفكت دمـــاء رجـــالي والنّســـوة والبنين

لا تظنّي أنّها ذهبت سدى في الحين

لا والله، بـــل هـــا هـــي تســـقي علـــى أرضـــي أشجار الزّقوم لكلّ أفّاك منك أثيم

جنـــان أراضـــينا أبـــت أن تكـــون لـــك ســـوى السّعير

نسمات الادب للنشر الإلكترونى

إن داســتها أقــدامك تتقيّــؤك كأنّــك قــيح وهــي الجريح

أتتّخــذين مـــن بيوتنـــا ســـكنا وبأســـقفها تحتمين؟

وأهل الله وعباده من ديارهم تخرجين؟

فلتعلمـــي أنـــك بـــدون الله، ونحـــن لنـــا الله نصير

جعــل لنـــا الأرض فراشـــا، والسّـــماء بنـــاء، بينهما يولد كلّ يوم شهيد.

أزهارنـــا تفـــوح بـــدل الياســـمين عطـــر نصـــر قريب

وكـــل صـــاروخ منـــك يخلـــف رمـــادا يكتـــب بـــه التاريخ،

تاريخـــا يـــروي أحـــداث الســـابع مـــن أكتـــوبر، مصيدة بني اسرائيل

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

"طوفــان الأقصــى" كــذلك سُــمِّيت، فكانــت بــين السُّــحب طــائرات ترميــك حجــارة مــن سجّيل

وعلــى الأرض قلوبنــا اجتمعــت لتكــون قلبــا باسلا صنديدا

ينبض وينادي: فداكي روحي يا فلسطين

فإن ابتغيت ردّا منا يغنيك إلى يوم الدّين

اصــغي إلــى كــل ســنبل ينــبض تشــوقا ليــوم النصر والتحرير

وصــدّقي قولــه فإنّــه كــان وعــدا مــن العزيــز العليم

إذ لــن تنــالي فــي الــدنيا إلــى خزيــا، وستُردِّين يوم القيامة إلى عذاب أليم.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

رنة هاتف

ككل امرء تنفتح له أبواب اليسر تارة، وتخنقه أنامل العسر تارة أخرى، كنت اختنق أنا بأغبرة الغموم، أكابد دمعي الذي يكاد يفيض من المقل، وأكتم الشهقات التي زهدت الاستكانة بداخلي، لماذا أُلام على ردود الفعل ولا يُلام من جعلني أقبِل عليها؟ لما صفعات الحياة لازالت ترتسم على وجنتاي تواليا ودون انقطاع؟ كلما حاولت جاهدة أن أتجاوز أعود ثملة بكأس آخر من الأوجاع!

كعادتي التجأت إليك أصبّ شكواي، أمطرت عليك الكلمات دون أن تسمع، وسألتك دون أن تدرك، واختبأت بين أحضانك دون أن تشعر، فقد رسمتك

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

طيفا في مخيلتي تماما كألباتروس يبدد بأجنحته فتات المآسي من على عنقائه. لكن الأمر لم يجدي نفعا، فقد اشتقت لصوتك الذي يضمض جراحي، تلك النغمات التي تطرب مسامعي بسمفونية الهوى، كان آخر شجار قاسيا جدا، ووضعت هناك آخر نقطة لآخر سطر، تلك النقطة التي لطالما دونت بعدها فقرات أخرى، فهل سيكون هناك المزيد هذه المرة أيضا؟

انفجر فؤادي بعدما تراكمت بداخلي الأحاديث، بكيت وصرخت علني أبدّد الثّقل عن روحي، لكن الغصّة ظلّت عالقة تحترق في لجّ صدري، حملت الهاتف واتّصلت، ما إن رنّت الرّنّة

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الأولـــى حتـــى اســـتفاق كبريـــائي وأنهيـــت المكالمـــة دون تـــردد، ربمـــا لـــن تجيـــب، وحتـــى ربمـــا لـــن تكتـــرث، لســـت الحضـــن الذي يروق له التبلل بعبراتي بعد الآن!

انغمســـت بـــوجهي فـــي الوســـادة، وعـــدت أنــوح علّنــي أجــد الرّاحــة التــي أبحــث عنهــا، لكنّك عاودت الاتصال!

- أهلا

-أهلا

-كيف حالك؟

- بخير

-ماذا تفعلين؟

- لا شيء (بصوت يخنقه البكاء)

ســاد الصــمت بعــد أن اِلتمســت نغمــة الحــزن التـــي اكتســـت كلمـــاتي، ظللـــت تطـــرح أســـئلة

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

عشـــوائية فقـــط لتجعلنـــي أتحـــدّث، لكنّـــي كنـــت أجيبـــك إجابـــات مختصـــرة تزيـــد الهـــدوء حِـــدّة، وتـــارة أخـــرى أصـــمت باكيـــة محاولة قصارى جهدي أن لا أظهر ذلك.

تنهـــدت باستســـلام وســـألتني: _ مـــا الـــذي تفعلينه ا تبكين؟

- أجبتك بحنق: ما شأنك؟

فـــرغم حـــاجتي إليـــك وتعطّشـــي لقربـــك لازلـــت أحـــاول أن لا أظهـــر ضـــعفي وأنـــت الذي فككت شيفراتي منذ كلمة أهلا.

عمّ الصمت لبرهة، لتكسر مرآته قائلا:

- أرأيـــت مكالمـــة لا يحـــادث طرفهـــا الآخـــر؟ هـــذا يحـــدث فقـــط عنـــدما يجلســـان وجهـــا لوجـــه، ولـــيس خـــلال اتصـــال هـــاتفي أيتهـــا المغفلة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

ابتسمت كوني أعلم أنك تفعل هذا عمدا، أجبتك: أمر عادي، ها قد رأيت هذا الآن..

كنت أتلذّذ بازعاجك فقط لاستعشر غلاوتي المتناثرة بين فواصل صبرك وتمالكك لنفسك، مضت السّويعات دون أن أشعر، كان دمعي ينهمر كسيل غزير، ثم بدأ يقل ويقل إلى أن جفّ، ابتسامة ثم ضحكة ثم قهقهات، لا أعلم كيف انتقلت بي إلى عالم آخر! أخبرتك بأني اشتقت إليك، فبحت لي بشوقك أيضا، وكان ذاك كفيلا بأن يرسم على فاهي الابتسامة إلى غاية اليوم.

كلما ابتعدت عنك أجدني عدت إليك كشتاء عاصف يروي جفاف صيف

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

طويــل، فحتــى لــو أحطــت بــآلاف الحشــود تبقــى وحــدك دائــي ودوائــي، فــأين المفــر منــك إلا إليــك وأنــت مــلاذي وكــل عــالمي، أحبك.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

بين دهاليز الحياة

فــــي كـــلّ يـــوم أقـــف علـــى فتيـــل الفجـــر الأبـــــيض، ذاك الــــذي يفصـــل بـــين هزيـــع واقـــع مـــرّ، وصـــبح يعـــجّ بـــالأحلام وأشـــعة الأمـــل، تراانـــي أمضـــي ســـويعات الدّجنـــة أتخـــبّط كـــالغريق بـــين مـــوج بحـــر لجّـــي، ســـماؤه ارتـــدت بـــرنس الـــديجور، ونجومـــه انـــدفنت فـــي مقبـــرة ســـحب ســـخماء، أمـــا قـــرص بـــدره فبـــات غريبيـــا يعلـــن اجهـــاض آخـــر نـــور لـــه؛ تراانـــي أبحـــر بـــين الفواصـــل البكمـــاء، تلـــك التـــي أكتمهـــا طـــويلا لأجـــدها تتمـــرد فـــي زمـــن أحتـــاج فيـــه إلـــى مزيـــد مـــن الهـــدوء، تـــارة تلقـــي بـــاللّوم علـــيّ، وتـــارة تحاول إثابتي إلى ماض قد عجّ بها

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وغـــاث، أصـــغي إليهـــا بتملّـــل، أترقّـــب أســـهم السّـــاعة وهـــي تُقبِّـــل أرقـــام الـــزّمن، أردِّد فـــي نفســـي: "ســـتخمد هـــذه الحـــرب بعـــد قليـــل، ســـينتهي الليـــل، وســـيكتم صـــوتها مجـــددا بفعـــل فوضـــى الحيـــاة"، تـــارة أنهـــي تلـــك التّراهـــات بســـلام، وتـــارة أخـــرى أجـــدني بـــدأت أستســـلم للـــذكريات، بـــدأت أشـــتاق للعـودة إلـى تلـك التفاصـيل بـالرّغم مـن أنّهـا أدمـــت قلبـــي وحولـــت روحـــي إلـــى هِرشَـــفَّةٍ ازدحمـــت بـــداخلها تجاعيـــد الزّمـــان، أكابـــد مـــن جديـــد ودمعـــي ينهمـــر، قـــد ودّعـــت نســـختي تلـــك بعـــد أن تخلّيـــت عـــن أجـــزاء كثيـــرة منـــي، كيـــف ســـأعود وأفقـــدني مـــن جديـــد؟ كنـــت أعلـــم أنّـــي لـــو غرقـــت هـــذه المـــرّة لـــن أنجـــو بعـــد قـــط! كـــان بـــزوغ الفجـــر

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

يطـول، ومـع ذلـك انتظـره كـآخر طـوق نجـاة سأتمســـك بـــه؛ تفتـــرش الشّـــمس صـــدر السّــماء مــن جديــد، فيشــق ظلامــي بريــق خيوطهـــا الذهبيـــة وينيـــر بصـــيرة ســـلطان جســدي المهمــوم، يــوقظ فــي جوفــه لهيــب الكبريـــاء، فيقـــف بشـــموخ متصـــدّرا صـــفوف الــــذّكريات، ويخطــــو خطواتــــه نحــــو ذاك النّـــور المنملـــق، راســـما علـــى بياضـــه أحلامـــا قـــد تملـــي مـــا حُفِـــر بـــداخلي مـــن فراغ!

كانـــت تلـــك هـــي ليـــاليَّ الطّويلـــة التـــي عـــجّ هـــدوءها بفوضـــى تعجـــز عـــن فـــكّ شـــيفراتها الأســـماع، نـــبض ينـــادي مـــن همـــت بـــه لســـتّ ســـنوات، وقـــد أضـــيف الواحـــد للســـتّة فباتـــت ســـبعة أبـــواب لجحـــيم أبـــى الانـــدثار، حـــبّ

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

تخلّيت عنه مرغمة وحكمت على نفسي بالإعدام، حاولت ملأ فراغه بمن حبّهم أولى، قلت توجد أمي، يوجد أبي، ومعهما إخوتي، وضعت نصب عيناي دراستي وأحلامي، خططت الأوهام وكلِّي نيَّة بأن أعيد على أطرافها بقلم رصاص قاتم وألوِّنها بأبهى الألوان.

لم تمرّ سوى ثلاث أيام، خذلني من ظننته عضدي، كسر جناحي من كنت أحسبه يجمع ريش الحمام ويجعلني أحلّق به نحو الآفاق، الثالث عشر من ماي ثلاث وعشرون وألفان، اللّيلة المشؤومة التي فتحت أبواب التّعاسة والأوصاب، رأيت فيها وحشا يرتدي

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

ملامـــح أبـــي، مخالبـــه خدشـــت وجنـــة أمـــي ووجنتي،

وأنيابـــه مزقـــت جســـد أخـــي، رأيـــت قـــاتلا متعطشـــا للـــدم، ومقتـــولا يتـــأرجح بـــين الحيـــاة والمـــوت، صـــرخت فيهـــا عجـــزا كمـــا لم أصرخ من قبل!

انتهـــى العـــرس، لكـــن الحلقـــات تسلســـلت لتلـــد مسلســـلا هزليًّـــا، لـــم يكتفـــي بتلـــك اللّوحـــة التـــي حفـــر تفاصـــيلها علـــى صـــخر الـــذاكرة، بـــل حرمنـــي مـــن مزاولـــة الدراســـة وأنـــا علـــى حافـــة التخـــرج، ذهبـــت كـــل الجهود سدى، وضاعت نهاية الحلم.

مضـــت خمســـة قـــروء وأنـــا ســـجينة للوجـــع، غـــادرت بيتـــي كســـيرة الفـــؤاد، جســـدا بـــلا روح، كنـــت أبكـــي علـــى الأكتـــاف واحتمـــي

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

بين الأحضان، أجلس بين الحشود وأتلقى عبارات المواساة، لكنني كنت وحيدة! خاب ظني بالعائلة والحبّ، بالرّفقة والأصدقاء، زهدت الحياة؛ بات جسدي مليئا بالأسقام، أقسو على نفسي حتى لا تعيد الكرة ولا تثق فتصطف قبالتي نهايات الزّلات، لم أعد استثني أحدا! كلهم بشر، وكلّهم يعشقون ممارسة طقوس الخذلان.

أحببت نفسي بعدها، أحببتني حبّ الأنانية، لم يعد يهمّني شيء سوى راحتي، عافيتي الجسدية والنّفسية، تخلّصت من سقم التعلق بالأشياء والأحلام والأشخاص، بل وجدتني أنجذب إلى من هو أحقّ بالتعلق.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

بـــات النّـــوم ألـــذّ أعـــدائي، يجـــافي جفنـــي وعلـــى حـــدقتاي ينثـــر تعويـــذة الهجـــران، فوجـــدتني اســـتأنس بركعـــات أنـــاء اللّيـــل، وســـجدات تخفِّـــف حمـــل الأثقـــال، كنـــت أطيـــل الســـجود، وأهمـــس لـــلأرض بمـــا يحـــرق روحـــي، وفـــي كثيـــر مـــن الأحيـــان كنـــت أزمّ شـــفتاي عجـــزا عـــن وصـــف أوجـــاعي، لكنّـــي كنت على يقين أنّه يعلم بما يختلجني،

وأنـــه يســـمع بـــوحي الصّـــامت، ويجيبنـــي بِـــرَدٍ لا يشـــقّ ســـمعي، فكنـــت أستعشـــر الـــرّدود فـــي طمأنينـــة تعـــمّ قلبـــي، بـــتّ أشـــتاقه فـــأتحيّن أوقـــات الصّـــلوات، أداوي الجـــراح بالـــذّكر والـــتّلاوات، يـــس والبقـــرة أصـــبحتا رفيقتـــا الـــدّرب والوصـــال، وبتـــاج الـــذّكر

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

علــى مــدار اليــوم أطفــئ لهيــب الغصّــات، علمت أنّ الضّحى صدقة عن المفاصل والأجســاد، وأنّهــا تشــفي مــن الأســقام، فزيّنــت بهــا ســويعات الصّــباح، امــتلأت حيــاتي بالــذي خلقنــي وبــثَّ فــيَّ الــرُّوح بعــد أن أمــاتتني الابــتلاءات، فعشــقتها كونهــا كانــت بوابــة القــرب والوصــال، مــا عــادت تغرينــي تلــك العلاقــات العــابرة وغــزل الكلمــات، بــل إنِّــي أريــده رفيقــيَ الــذي يقــيم بــي اللّيــل ويُــريح السّــمع بصــوت خاشــع ينشــر صــدى الآيــات، أريــده صــالحا يســدّد الخطــى ويأخــذني معــه نحــو الجنــان، يغــازلني حــلالا، ويحبّنــي كحــبّ الرّســول لزوجاته.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

حمـــدا لله الـــذي أزال عنّـــي الغشـــاوة، وغيّـــر فكـــري ورغبـــاتي، حمـــدا لله الـــذي وضـــع فـــي قلبـــي زهـــد الحيـــاة، وعلّقتنـــي بحـــبّ الآخـــرة والفوز بالجنّات.

***

ماذا لو كنت فلسطينية؟

ماذا لو كنت فلسطينية؟

لكنـــت ابنـــة الأقصـــى، أو رفـــح، أو جباليّـــة، أو غزّاوية!

لركضـــت بـــين أشـــجار الزّيتـــون البهيّـــة، وروى لـــي والـــدي كيـــف تصـــدّت جـــذوعها لاقتحامات العدوّ الصّهيونية.

لأفطـــرت بالإيمـــان صـــبحا، وتغـــذّيت الشّـــجاعة ظهـــرا، وارتشـــفت الصّـــمود عشوة، وتعشّيت حبّ فلسطين ليلا.

لـــزاحم القـــرآن قلبـــي، وبوركـــت أيـــامي بصلوات تحت أصوات القصف الدّوية.

لـــو كنـــت فلســـطينيّة لعشـــت ربيـــع عمـــري علـــى رقعـــة ســـلام لـــم تكـــن أراضـــيها يومـــا سليمة.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لــو كنــت فلســطينيّة، لربّمـا ولــدت خلــف القضــبان، أو تحــت الرّكــام، ولبــدأت عمــري مكبّلة بأصفاد الرّهان!

لحملــت الصّــخر والحجــارة لا للعــب بــل لتكـــون أوّل ســـلاح تحملـــه أنـــاملي المتعطّشة لدماء كلاب اسرائيلية.

لكبــرت وعشــق فلســطين يســري بــين عروقي بدل الدماء السّخية.

لجُلــت الطّرقــات وأنــا أرى علــى الجــدران بصـــمات حـــروب تحريريّـــة، وأعـــدُّ كـــم شـــهيدا مـــن أجـــدادي فقـــدت لتبقـــى بلـــدي حيّة!

لابتســمت كلمــا رأيــت جنــد الاحــتلال وهتفــت الأرض أرضي،

والأسود لا تقربها الذّئاب وهي حيّة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لـــزأرت دون خـــوف بـــأنّ لحظـــة النّصـــر وإن بعدت ستظلّ من الله وعدا مقضيّا.

لـــو كنـــت فلســـطينية لاســـتيقظت فـــي كـــل صـــباح لأســـجل فـــي التّـــاريخ حكايـــة مقاومـــة، وأنقـــش علـــى جـــذع الشّـــجر رمـــزا يملي بأنّ للحياة بقية.

لـــو كنـــت فلســـطينية لكـــان طوفـــان الأقصـــى أولى خطواتي على سبيل الحريّة.

لربمـــا كنـــت أمًّـــا ترســـم أســـماء أبنائهـــا علـــى أجســـادهم كـــي تجمـــع أشـــلاءهم إن وافـــتهم المنيّة!

أو ربمـــا أخـــرى اغتصـــبت أمـــام زوجهـــا ومحارمهـــا، وقتلـــت هـــي وجنينهـــا ليهتـــز لها عرش الرّحمن هزّا!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أو صــغيرا تحطّــم رأســه وتلاشــت أجــزاءه، فــلا يــرى منــه ســوى جمجمــة مغطــاة بقطعــة جلد متدلية!

أو ربّمــا شــابا نهــش صــدره كلــب العــدوّ، وأنــا أناديــه بحبيبــي فقــد تغشّــت عيــوني بمتلازمة حبٍّ بريئة!

لــو كنــت فلســطينية لمِــتُّ جوعــا وقهــرا وبقيــت ضــحكتي عنــوان لقصّــة لا متناهية..

لحملــت فــي قلبــي حكايــا الأبطــال، وتضــحيات الشّــهداء، لتلمّســت أغبــرة الــدّمار، ولاستنشــقت عطــر الــدماء مــن بتلات ياسمينيّة!

لــو كنــت فلســطينيّة لوطئــت جنــة الأرض، وحضيت بالخلود في جنّة سماويّة.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لــو كنــت فلســطينيّة، لبكتنــي الأحبــار علــى الأوراق، والعبــرات علــى الوجنــات، ولــم أكن قط نسيا منسيّا.

لكنّــي جزائريــة، أعــيش بقلــب جزائــريّ وهويّــة جزائســطينية، لقبــي حفيــدة المليــون ونصــف مليــون شــهيد، ابنــة مــن وضــعوا للثــورة ملامــح العظمــة، وســجّلوا بالدّماء تاريخا أبديّا.

أبكــي بأيــد مكبّلــة، وقلــب دام، ودعــوات تناجي الله بأن يُذيق إخوتي طعم الحريّة.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لن أبرأ منك يا أبي

إلى الذي لم يكن كما يجب أن يكون..

إلـــى مـــن وارى لقـــب "أب" تحـــت ثـــرى الكبرياء..

هذه المرة،

أقســمت أنّنــي لــن أطــرق بابــك طالبــةً الــدّفء والأمان.

لــن ألــوِّن علــى البيــاض بقعًــا ســوداء، فقــط لتكــون ظلّــك الــذي أحتمــي بــه، وأتناســى أنّي أحتمي بظلال الأوهام.

لــن أبحــث عــن عيونــك التــي تحرســني وسط الزّحام،

ولا ابتســـاماتك عنـــدما أتـــوِّج نجاحـــاتي بنقاط النّهايات.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لقد كبرت يا أبي..

كبرت في كلّ لحظة كنتَ أنت تصغر في عيني.

كبرت حينما استنجدت بك ليلاً، ولم تأتِ راكضًا كباقي الآباء.

كبرت حينما عُوقبت دون أن أقترف جرمًا، أو أقع في وادي الهفوات.

كبرت حينما كنتَ تقول: "لستِ ابنتي"، فقط لترضي غضبك.

كبرت يا أبي، في كل مرةٍ كان الجرح جُرحك.

كبرت حينما أرغمتني على مواجهة أحاسيس الجفاء لشخصٍ من البديهيّ أن أحبه لباقي العمر.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

كبـــرت حينمـــا جعلتنـــي أعـــيش شـــعور اليـــتم وأنت بجانبي.

لـــم أخبـــرك قـــط أنّـــي كنـــت بحاجـــة لأن أرتمـــي بين أحضانك، بسبب أو بدونه!

لكـــن... حضـــنك فـــي بيتنـــا معجـــزة تقـــلّ رؤياها.

لـــم أخبـــرك أنّـــي حينمـــا أبصـــر الصّـــغار رفقـــة آبـــائهم، تتدغـــدغ روحـــي بمـــزيج مـــن الغيـــرة والتّحســـــــر، وتتحشـــــــرج دمـــــوعي علـــــى حافّتي جفناي.

تعبت..

تعبـــت مـــن أن أحملـــك وَجَـــلًا فـــي قلبـــي يـــا أبي.

أرهقتنــــي محـــــاولاتي فــــي الاقتـــراب منـــك، وإغراقك بالأعذار.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

تعبت من أن أراني سيّئة كوني أحمل كل هذا العتب لك، في حين أنّه كان من الممكن أن تكون أبي، وأكون ابنتك!

تعبت من عصبيّتي، انطوائيّتي، انفعالاتي، وقرفي من كلّ البشر، فقط لأنّ جانبي المتعلق بك غير سويّ.

لن أقول لك: سامحتك،

ولا: "أحبك رغم كل شيء"،

لأن في كل "شيء" هذا، انكسر شيء لا يُجبر،

وماتت فيَّ طفلة لا تُبعث،

طفلة لا زالت تحاول ملء فراغك.

هذه المرة، سأفلت يدك.

سأمضي، وأدع وجعي يشيخ بداخلي.

لن أربّي بداخلي أبًا من خيال بعد الآن.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

فـــي المـــرة الأولـــى، أرغمـــت نفســـي علـــى المغفرة،

ونسجت خيوط الوصال من جديد.

لكنك مزّقتني أنا هذه المرة!

وهل يسهل نسجي؟

وهل يُخاط قلبي؟

وهل تُرمّم شقوقه؟

للأسف، لقد حولته إلى صُمٍّ صلاب،

وأنا التي حاولت جاهدًة أن أبقيه ينبض.

إنّ عتبي طويل..

لا تختصره الأحرف ولا الكلمات،

ولا يُخفّفه الصّراخ ولا العبرات.

أنا لن أبرأ منك قط، يا أبي.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

من عهد حبره للجزائر

عيناه ضيّقتان، واللّون سوادُها

وإذا أضـــاءتْها الشّـــموسُ، اعتصـــر العســـل من شهدها

فتغـــدو كطيـــفٍ ســـاحرٍ، تُغـــري القلـــوبَ، وتخطف الأنفُاس منها.

ترنو إلى جَفنٍ تُرصِّعهُ المدى

رموشُه السوداء زادتْهُ مُحيّا.

لمّا تراقصت على أنغام الكرى

تجمّعـــت ملامـــح الهـــدوء و السّـــلم، كنســـيم إذا هبَّا

ولمّـــا أفـــاق، تطلّعـــت حـــدقتاه إصـــرار أســـد، وبـــأس جنـــدي فـــي ســـطوة الحـــرب، كـــالطّود غلا.

وأمّا إذا تُوِّجت بحاجبه المعقد

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

منه الوقار على جبينه تجلّى

كأنّــه بطــل نثرتــه روايــة تغنّــت بمجــد عظــيم،

سما صيته بين الثُّريّا.

أشعثُ شعره، فوق الرّأس غيم داكن

واللِّحيـــةُ ظـــلال ليـــلٍ، وشَّـــحَت فكَّـــه هيبـــة

وسكينة.

وصوتُه الرَّخيم يمطرُ رجولةً

ودْقًا تطيحُ بهِ العواصفُ العتِيَّة.

وقلبُهُ التَّاريخُ في نبضاتهِ

يحكي الجزائرَ بين نصرٍ وعِزِيًّا

ويشعل ذاكرة المجد، إحياء ورُقِيًّا

كأنّه منها سَرق قُبلة الهوى

فطبعت العنفوان بين قسماته فيافيها.

يا من أتيتَ، وكبرياءُكَ لوحةٌ

وصمتُك غَفَا في أحضانه الغموض غفْيًا.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

بين الأبيض والأسود

بين الأبيض والأسود،

تمامًا في المنتصف، حيث تخضّم كل شيء بلون رماديّ، شاء قلبانا أن يلتقيا،

ويطول العناق هاهنا.

ففي تلك المسافة الرماديّة،

بين نور الصّداقة وظلام الحبّ،

انعقدت عُقدتنا؛

حيث لا يُعسعِسُ دَيْجُور العشق،

ولا تشرق شمس الأُلفة،

بل نبضٌ فريد... لا يُسمّى.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

صهيل الجنون

وصــــفوني بــــالجنون، وظنـــوا أنـــه عيبـــي الـــذي لا يـــزول، وأنـــه لقـــب يـــدمي العيـــون، لكن واقعي، عبقٌ حقًّا بتعاويذ الجنون!

فكيــف لعاقـلٍ جـلّ أحاديثــه تنتقـل بــين شــفتيه وأذنيه أن تكون؟

يَصُـــمُّ ســـمعه عـــن فوضـــى البشـــر، يبتغـــي العزلـــة، ثـــم إذ بـــه يعـــزف ألحـــان صـــخبٍ، يتمايـل عليهــا خصــر الشــجون، ويجعـل مــن عبراتـــه ســـيولًا وعيـــون، كلمـــا شـــقّت إحـــداها وجنتيـــه، واقتربـــت تـــداعب حافـــة شـــفتيه، تـــذوّقها واســـتلذّ، وكأنهـــا نـــدى الـــورود، فيرتـــوي منهـــا، ويســـكنها تـــارةً أخـــرى بـــين الفؤاد والجفون.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

كيــــف للعاقــــل أن يُحـــادث بـــتلات المارغريـــت، ويســـألها عمّـــا تُخفيـــه القلوب؟

كيـف لـــه أن يُســامر القمــر لــيلًا، ويرافــق النجوم؟

كيـف لـــه أن يتحــين أفــول غسـق الــدجى، ليمشّـــط بعيونـــه الجــدائل الذهبيـــة وهـــي تطفو فوق الغيوم؟

كيـف لـــه أن يُحــادث نفســه ســاعاتٍ طــوال، فتصـــطاده العيــون، ويُخـــال لهـــا أنـــه حقًّـــا مجنون؟

كيــف لعاقــلٍ أن يُطلـــق صــدى الضـــحكات رفقـــة أبجـــديات الكتـــب تـــارةً، وتـــارةً أخـــرى يبغر رذاذ العيون؟

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

كيـــف لعاقـــل أن لا يُحـــادث إنســـيًّا لأيـــامٍ وقرُوء؟

أوَلا يـــدرك العـــالم أن لكـــل عاقـــلٍ منّـــا نصـــيبه من خمر الجنون؟

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

ميزان العقلب

بين الكفّتين تأرجحت قراراتي، وكانت الكفّة الأثقل دومًا تلك التي يعتلي وعاءَها قلبي، أكان مثقلًا بكثرة الغم، أم بفيض المشاعر، أم بذاك الحب الذي كتمته لسنوات... لا أدري، لكنه حتمًا كان مليئًا بالرحمة دومًا، كانت كل خلاياه تنبض بالفرص، وكل عروقه تأبى أن تجفّ دماء الودّ بداخلها، حتى لو على حساب جسدي؛ جسد بات ذلك القلب سلطانَه، يصمّ أذناي عن كل ما يُمليه عقلي، وكأن الحياة لديّ قد أجهضت النقاط، واختارت أن تتمّ حمل الفواصل فقط، ليستمرّ الخطأ، ويزداد الأذى، ويُكتب على جبيني عنوان الفشل! الفشل

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

فـــي أن أمنـــع قلبـــي أن يكـــون مـــن المطفّفـــين، أن أنهـــاه عـــن اســـتيفاء العاطفـــة وبَخْسِ المنطق.

تَبًّا لميزانِ حياةٍ معطوب!

فـــي محاولـــة منّـــي لإصـــلاح ذاك العطـــب، كنـــت أزيـــد الكيـــل رفقـــة العقـــل، كيـــلٌ كـــان يســـطّر قـــوانين صـــارمة، كلمـــا حاولـــت اتباعهـــا زدتُ قســـوةً علـــى نفســـي، وتـــداعى قلبـــي للمـــرض، فأثقلـــه الحـــزن للمـــرة الألـــف بعـــد اللانهايـــة، واعـــوجّ قـــوام الميـــزان بشكل مفرط للغاية.

بلغـــت الحـــرب بينهمـــا ســـطوتها، وكـــل المعـــارك صـــارت تـــدميني، كنـــت فـــي كـــل ليلـــة أختلـــي بمـــن خلقهمـــا، ووضـــع فـــي خلـــق كـــلٍّ منهمـــا حكمـــة، كنـــت أخبـــره أنـــي لـــم أعـــد

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أحتمــل ثقــل قلبـــي، فـــاللهم طهّـــره، اللهــم اشــفِه، اللهــم أنِــر بصــيرتي، واختــر لــي ولا تخيّرني.

كنـــت أغـــادر مكـــاني، وفـــؤادي كأفئـــدة الطيـــر؛ رقيـــق، متوكّـــل علـــى الله، شـــديد التواضـــع، ســـليم، طـــاهر، صـــافٍ، يعـــجّ بالطمأنينـــة والرضـــا. كنـــت أســـعد بـــذلك وأظـــنّ الحـــرب قـــد انتهـــت، لكـــنّ الكفّـــة كانـــت تثقـــل رويـــدًا رويـــدًا، ويعـــود حـــالي كمـــا كـــان، فأعيـــد الكَـــرّة وأختلـــي بـــالله أترجّـــاه، والـــدمعُ سيلٌ منهمر.

انكشـــــطت الأيـــــام، وأنـــــا أتـــــأرجح بـــــين الكفّتـــين، إلـــى أن ســـبرتُ أغـــوار عقلـــي، وأدركـــــت أن لا شـــيء دائـــم فـــي الحيـــاة الـــدنيا، وأن الطمأنينـــة والاتّـــزان اللـــذين

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

حصـــلتُهما مؤقتًـــا كانـــا بفضـــل القـــرب مـــن الله، ذلـــك القـــرب الـــذي لا يُحقّقـــه شـــيء سـوى العبـادة. تيقّنـتُ أن الحـرب لـم تكـن حــرب عقــل وقلــب، بــل حقيقــة: كلاهمــا مُســخّران لحقيقــة أعظــم بكثيــر، وهــي تقــديم أيــام العمــر قــرابينَ فــداء للغــد... للجنّــة. حينهــا سيرضــى كلاهمــا بكــلّ قــدر، بكــل نعمــةٍ ابــتلاءً كانــت أم خيــرًا. حينهــا فقــط ســتتبدّد المخالــب النابشــة للماضــي، وســتطأ أكعــاب الأقــدام المتعاليــة أرضًــا، ولــن تعتلــي مبتغيــةً الإطــلال علــى غيــب المستقبل.

بعــدها أصــبحت خلــواتي يوميــة، وأدعيتــي لا ينقطـع سـيلها، مـا عـادت العبـادات ثقيلـة

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

ولا متحيّنــــةً لحاجــــة، بـــل باتـــت بلسَـــمًا يُـــنعش الروح، ويُصلح عطب كلّ موازيني.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

تسلل أمل عبر شقوق الألم

يتأجج بداخلي قلب مهيض

ملامحي قد نالت منها تعاويذ الصقيع

فباتـــــت قوالــــــب متجمـــــدة، لا يــــــذيبها

عصبصب ولا قيظ

أحلامـــي كأنهــا قــزع، كلمــا وشــوش القــدر

اللعــين بأذنهــا قصــائد الوجـل، تكأكـأ الوجـد

في سمائها، وانهمر الدمع كعرم شديد

حرفـــي للفـــاه حبـــيس، ونبضـــي لا يســـمع لـــه

سوى همس ضئيل

أيطـــول الليـــل ويطـــول كســـري؟ أم أن لحـــظ

الحزن حثيث؟

يمـــر كـــريح صرصـــر يشـــارف علـــى أبوابهـــا

الربيع

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أيليــق بــي الانتظــار إلــى أن ترتــدي روحــي حلة شمشليق؟ ..

كــلا، بــل مهمــا شــاخ الجســد ســأبقى يرعانــة تلمــم كســف أمانيهــا، وتنثــر عليهــا تعويــذة العنقاء من جديد

فأحيــا وكــأني الــذُّكاء، لا أحتــرق وكلــي لهيب.

***

بين نعم ولا

_كرهتِيه؟ (سألني يومًا أحدهم)

_لا، لكنني أيقنت أنه لا يستحق!

_لا زلتِ تحبينه إذًا!

_سؤال لا يمكن اختصار إجابته في كلمة نعم أم لا، ربما نعم، أو ربما لا، لكن حقيقةً كان هو ذاك الشخص الذي علّمني الحب الحقيقي بالرغم من أنه لن يكون من نصيبي أبدًا.

_وكيف كان هذا الحب؟

_جميل جدًّا، لكنه مؤلم بذاك القدر، أتى صدفةً دون أن أبحث عنه أو أنتظره، لم يطرق أبواب قلبي، بل دخله دون استئذان! وجدته ها هنا على يسار

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

صـــدري، كلمـا نــبض قلبـــي همـــس باســـمه، كنت أناديه باستمرار لكن دون أن يُدرك.

أحببـــت كـــل جميـــلٍ بـــه، لكنـــي بالمقابـــل عشـــقت كـــل عيوبـــه، أتصـــل حتـــى وإن لـــم يتصـــل، أبحـــث عنـــه خيـــالًا وأنـــا وســـط الزحام، وإن أتى صارت الزحام أوهامًا.

أمـــارس عليـــه طقـــوس غيرتـــي، وحـــين يُصـــاب بـــالجنون ألـــوذ للاعتـــذار، وإن أخطـــأ هـــو الآخـــر أعاتبـــه بقســـوة... ثـــم أعتـــذر، فـــلا قلبـــي يقـــوى علـــى الفـــراق، ولا غضـــبي يصمد أمام جيوش الهيام.

حاربـــت الجميـــع مـــن أجلـــه، حتـــى عقلـــي والأقـــدار، فكنـــت أصـــم أذنـــاي عـــن كـــل لغـــوٍ وقيـــلٍ وقـــال، وآخـــذه معـــي فـــي كـــل رحلـــة لـــي

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

نحـو الثريـا، فقـط بكلمـاتٍ أهمسـها لـلأرض فتبوح بها للسماء.

أحببتـه كحـبِّ أمٍّ لطفلهـا، رغـم أنـه يكبرنـي بتسـع سـنوات، أحببتـه كصـديق حـين وحـدتي، وكـم عشـقت الوحـدة كـي نظـل دومًـا أصـدقاء، فصـرت بدونـه وحيـدةً وإن حاوطني آلاف البشر!

لا يخلـو تفكيـري منـه نهـارًا، وإن شـقّ الليـل الأفـق رأيتـه فـي الأحـلام، صـار نفسـي، لكنـه اختـار أن تنقطـع عنـي الأنفـاس، صـار دمـي، لكنـه اختـار أن تجـف عروقـي، صـار قلبـي، صـار حيـاتي، لكنـه فضّـل أن يجعلنـي أتخلـى عـن الحيـاة.

حاربـتُ للحـدّ الـذي خـارت فيـه قـواي، للحـد

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الــذي أخبرتــه فيــه أنــه لا يســتحق، بعــد أن كنت أردد: «كل شيء فداك».

_وماذا الآن؟

_لا شـــيء، فكمـــا قيـــل: "بـــين الحـــب والقـــدر مقبـــرة دُفنـــت فيهـــا معظـــم قلـــوب البشـــر"، وهناك دُفن قلبي!

***

نسمات الادب للنشر الإلكترونى

أنا فلسطيني

سجّل...

أنا فلسطيني،

أصلي عربي،

الحرية موجي، ودمي بحرٌ لُجي،

الأقصى قبلتي، وفلسطين وطني الأبدي.

**

سجّل...

أنا فلسطيني،

رفقة جذور الزيتونة تمتدّ بسالتي،

وإلى جانب الغصن تعلو شجاعتي،

وبلبِّ كل زيتونة تسكن هويتي.

**

سجّل...

أنا فلسطيني،

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

ياســـمين بلـــدي ملطّـــخ بـــأحمر دمـــي الجوري،

يفوح عبقه بعطر ألمي الأزلي،

يُسقى بسيل دمعي الجاري،

فكم من السنون بكيتُ حريتي،

وكــم مــن الســنون أقســمتُ أنــي لــن أخضــع ليهودي.

**

سجّل...

أنا فلسطيني،

ابنُ الأرض المقدّسة والقدسِ الزهي،

ابــنُ أرض الإســلام، فكــم احتضــنت مــن نبي،

أنا من أرقص على أنغام القصف الدوي،

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وأخـــطّ علـــى صـــفحات المنيـــة شـــهادة حـــرٍّ أبدي.

**

سجّل...

أنا فلسطيني،

تقول أرضي:

ذات يوم مرّ حدائي يهودي،

استنشـــق هـــوائي، وتغزّلـــت حـــدقتاه بجمـــالي البهي،

فقال: "أتُصبحين حوريّتي؟"

أجبـــت: "ويحـــك! كيـــف لحمامـــةِ ســـلامٍ أن تصبح أسيرةً لإسرائيلي؟!"

فاستشـــاط غضـــبًا، وتوعّـــدني بيـــومٍ لـــيس بقَصي.

**

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

سجّل...

أنا فلسطيني،

يقول مستعمري: إني عبري،

فأرد: أنا أصلي عربي،

فيغتاظ، ويبذل قصارى الجهد ليُزيح نحو اليسار راء عروبتي،

يقول: القدس مقدسي،

فأرد: بل مقدسي، والله له حامي.

فيقول: غزة سأقصف، وأقتل الأهالي،

فأجيب: ليست غزة، بل عزّة، ولغير الله لن تنحني.

**

سجّل...

أيها اليهودي،

يا من لا هُوية له ولا دين،

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وكل بقاع الأرض تأبى أن تحتويه،

فحاول قسرًا أن يستوطن فلسطين،

لكنها تقيّأتك دومًا، فكيف تحتضن يهوديًّا سفيهًا،

يستحيي نساءها، ودون رحمةٍ يسفك دماء كل صغير؟

**

سجّل...

أنا فلسطيني،

أنا من أستميت دفاعًا عن وطني،

أنا من أُولد جنديًّا صعتري،

سلاحي أن أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولٌ ونبي،

أجوس الأراضي صيّحًا، فتاكًا بكل متجند إسرائيلي،

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

طـــولي لـــم يتجـــاوز نصـــفه، وإذ بـــي دون خشيةٍ أرميه بحجارةٍ من سِجّيل،
ســـلاحه نحـــو صـــدري موجَّـــه، وأنـــا أســـتلذّ باستفزاز قلبه الهشيم،
يظـــنّ أننـــي أخشـــى رصاصـــه، ناســـيًا أنـــي خُلقتُ بقلبٍ صنديد،
نبضه: حرية فلسطين.

**

سجّل أيها اليهودي...
أنا فلسطيني،
توعدتك، وها أنا وفيت بوعيدي،
"طوفـــــان الأقصـــــى"، تلـــــك أولـــــى انتصاراتي،
بـــالله عليـــك، أيـــن ذهبـــت فطنتـــك أيهـــا الساهي؟

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أغرتك سفاهتك، فاستهنتَ بعظمتي؟

فدق نصيبك... أنظر، تلك هي وطنيّتي،

ذاك حبي الأبدي،

تلك هويتي...

أنا فلسطيني.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

إلى سبيستون

أخبِروا سبيستون أن فتاة المستقبل قد كبرت، وأنها قد بلغت اثنين وعشرين ربيعًا.

أخبروها أنني وفيتُ بالوعد، فالبارحة كنت أشاهد مسلسل "إيميلي"، ومع كل حلقة أبني حلمًا بأني سأصبح كاتبة، وها أنا ذا فعلت.

أخبروها أني لم أكتفِ بذلك فقط، بل أني شعرت بالغيرة من صديقها الرسام "تيرد"، وقررت أن أصبح رسامة أيضًا، وها أنا أُصادق القلم والورق مثلك يا تيرد.

أخبروها بأني بعد أشهر عدة سأُعلن تخرّجي، وأنني سأكون صوتًا لمن لا

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

صـــوت لـــه، ســأعالج اضــطرابات النطــق والكلام، لأنشئ جيلاً آخر طليق اللسان!

أخبروهـــا أنـــي عملـــت بالنصـــيحة، فلـــم أخـــن عهد الأصدقاء.

أخبروهـــا أنـــي تألّمـــت كثيـــرًا، فلـــم يعـــد يُبكينـــي مـــوت العـــم "فيتـــاليس" فقـــط، أو بائعـــة الكبريـــت، بـــل إن الفقـــد أبكـــاني كثيـــرًا هذه المرّة.

أخبروهـــا أنـــي لا زلـــت أُعبّـــر عـــن حبـــي لأمي بأغنية "ريمي"،

وأننـــي لا زلـــتُ أبكـــي عنـــد ســـماع أغنيـــة "أنا وأختي".

أخبروهـــا أنـــي كلمـــا تعبـــتُ ومللـــت، أُردّد شارة:

"يومُنا نهارٌ، ونهارُنا عمل،

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

نملكُ الخيار، وخيارُنا الأمل،

وتهدينا الحياة أضواءً في آخر النفق،

تدعونا كي ننسى ألمًا عشناه"

فأُبدّدُ الألم، ويستجدُّ بداخلي الأمل.

***

حديث الصباح

استيقظت كالمعتاد، لا أفقه شيئًا، لا أتذكر من أكون، ولا من أنا وأين، فكري تعمه الفوضى، أرى صورًا غير واضحة، تارةً تكون بقايا الأحلام، وتارةً أخرى أغبرة الماضي.

بعد عودتي إلى الواقع، وإزالة الغمامة التي أغشت إدراكي، رسمت ابتسامة الأمل المزيفة علّي أجد منها نصيبًا فيما تبقى من نهاري.

رتبت سريري، ارتديت ما أملاه عليّ مزاجي، سرحت خصلات شعري، واتجهت نحو مرآة الحمام بغية تبديد ركام النوم الذي ظل عالقًا على محياي.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

مشـــطت ملامحـــي بنظـــرة عـــابرة، لطالمـــا أعجبـــت بهـــا، خاصـــة أوقـــات ســـعادتي واطمئنـــاني. مغرمـــة بصـــغرها الـــذي يمنحنـــي طلـــة طفلـــة صـــغيرة، فأحـــاول قصـــارى جهـــدي أن أســـترق منهـــا أكبـــر جرعـــات مـــن البـــراءة، علّـــي أحفـــظ قلبـــي الذي أدمته بشاعة الدنيا!

وأنـــا علـــى حـــالي أمطـــر نفســـي بكلمـــات الغـــزل والإعجـــاب، تســـمر بصـــري فـــي أعمـــاق حـــدقتيّ. مـــا بالهـــا تحمـــل كـــل هـــذا البريق؟ ليس بريق الفرح والأمل!

هل لا زال الحزن يتغشاها يا تُرى؟

ســـألتها: "مـــا بـــال عينـــاكِ تتـــافي ابتســـامتك المرسومة؟"

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

فتجيبني أناي:

"ظننتني تجاوزت، لكن الظاهر أنني لا زلت عالقة هناك."

أنا: لا عليكِ، كل شيء سيمر، فقط لا تستسلمي.

أناي: لن أستسلم، لن أخذل نفسي أنا الأخرى، لكنني متعبة. كيف يظل المرء عالقًا هاهنا في الوسط؟ لا يمكنه العودة، ويصعب عليه التخطّي.

لمحت دمع المقل يكاد يفيض، شعرت بأننا على شفا حفرة من الانهيار.

ابتلعت الغصة، وابتسمت من جديد قائلة:

"لا تبكي، أرجوك."

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وكــأن جملتـــي كانـــت كحضـــن مـــن يكـــتم صـــراخه، ثــم ينفجــر فجــأة فــور أن يطبطــب أحدهم على كتفه!

أجابتني، وسيل عبراتها يبلل وجنتيها:

"اشــتقت إلــى جــدي، ولا زلــت غيــر متقبلــة لرحيلــه. أفتقــد جــدتي، أفتقــد بيــت طفــولتي، أفتقدني وأنا بين أحضان الصغر."

أنــا: أعلــم، لكنهــا أشــياء لــن تُعــاد. لا تُبقــي نفسك حبيسة لذكراها.

أنــاي: لكنهــا كانــت مــأمني... أتعلمــين أننــي عند كل عثرة ألجأ إليهم؟

رغــم عــدم تواجــدهم، أجــدني أختبــئ بــين أحضان أطيافهم.

أجبت، والدمع يفيض، والفاه يبتسم:

"أعلم!"

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أنـــاي: لا زلـــت أحـــب مـــن أبعـــدني عنـــه القـــدر قســـرًا، لا زالـــت وجنتـــي متورمـــة مـــن صـــفعة الخـــذلان التـــي رســـمها أبـــي، لا زلـــت أتـــألم مـــن رحيـــل الأصـــدقاء وفـــراقهم، لا زلـــت متشـــبثة بـــأحلام ضـــاعت، ودعـــوات لـــم تُســـتجب، لا زلـــت أعتصـــر ألمًـــا كلمـــا تـــذكرت صـــمودي ومحـــاولتي، لأخيـــب بعـــد أن تباهيت!

ابتسمت بانكسار، وأردفت:

"لا زلنـــا هنـــاك، ولا زلنـــا نكـــتم، علّنـــا سنتجاوز يومًا ما..."

أنـــا: ســـنفعل. ألـــم نشـــعر بالراحـــة كلمـــا اقتربنا من الله؟

ألـــم تكـــن كـــل هـــذه الابـــتلاءات ســـببًا فـــي عـــدم التعلق بغيره، وفي سداد خطانا أيضًا؟

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أنـــاي: بلـــى، لكـــن فـــي كـــل مـــرة، تـــأتي أمـــواج الـــذكريات وتُغرقنـــا بقـــوة، جارفـــة إيانـــا نحـــو لُجّ المآسي.

أنـــا: هكـــذا هـــو التشـــافي، لـــيس بالتجاهـــل قَط، بل بالتألم والاعتياد على الألم.

ونحن لها، سننجح، أعدك.

أناي: تمام، أعدك أنا أيضًا.

مســـحت دموعنـــا بأنـــاملي، شـــهيق عميـــق، وزفيـــر أعمـــق، ابتســـامة جديـــدة، وحـــرب جديدة ستبدأ...

جعلـــت المـــاء يـــداعب وجهـــي، علّـــه يمتـــزج مع الدمع ويُخفي الأثر.

تـــأملتني مـــرة أخـــرى، عينـــاي محمرتـــان، وأنفـــي كأنـــه حبـــة طمـــاطم، وجنتـــاي أيضًـــا تلطختا بالحمرة كالعادة!

نسمات الادب للنشر الإلكترونى

يا لكِ من طفلة، لن تكبري أبدًا!

ضحكت ساخرة من نفسي، وبداخلي فخر أنني، رغم السقوط والتعثر، سرعان ما أُعاود الوقوف.

وأكثر ما يعجبني: أُنسي بنسختيّ الطفولية والناضجة.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

بك أمرّ وفيك أفنى

يلومـــونني علـــى هـــواك يـــا كـــلَّ هـــواي، يظنّـــون أن عشـــقي كجنـــون قـــيسٍ وليلـــى، وإذ به قد فاق!

آتيـــكِ فـــي كـــل مـــرة حاملـــةً أشـــواقي وحرمـــاني، يكبّلنـــي القـــدر، فمـــا أنـــا بقـــادرة على أن أمضي الأيام بين ثناياك.

تمـــرّ ســـويعاتي فيـــك كـــالثواني، أخطـــو خطـــواتي الأخيـــرة علـــى أراضـــيك، ومـــع كـل خطوة أبعثر أشلائي...

أمضـــي طريقـــي، أمـــلأ صـــدري بنســـماتك حـــدّ الغثيـــان، أشـــتمّ ريحـــك، وأمشّـــط أنحـــاءك بحـــدقتيّ، أحفـــظ تفاصـــيلَ تؤنســـني ســـنةً أخرى، إلى حين لقياك!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أودّعــــــك... وأودّعِ عقلـــــــي وقلبــــــي، أمــــاني وانتمــــائي، شـــغفي وحماســــي، أتـــرك كـــل أحلامــــي، مـــا عـــدا حلمـــي بـــأن أعـــود إليـــكِ يومًا ما... وإلى الأبد.

أتـــرك روحـــي هـــا هنـــا، وأجـــول بعيـــدًا عنـــك، جثّةً دُفنت في مقبرةِ القدر.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لا أشبه أحدًا!

منفـــردة فـــي عـــالمٍ ارتـــدت فيـــه جـــلُّ الأدمـــة قناعًـــــا واحـــــدًا، لا أُقـــــارَن ولا أتقـــــارن، ترفّعــتُ عــن تُرَّاهــات التصــنّع، فقــط لأكــون الأمثــل تحــت وطــأة الكمــال المزيّــف؛ كمــالٌ كـــالوهم، يتبعثـــر عنـــد أول زلّـــة، فيـــؤول حـــال صـــاحبه إلـــى خيفـــةٍ موجســـة فـــي نفـــسٍ منكسرة...

أحببـــتُ دومًـــا فكـــرةَ أننـــي لا أشـــبه أحـــدًا، مميـــزةٌ فـــي ذوقـــي واختيـــاراتي، فـــي كـــلّ خبايـــاي وتفاصـــيلي؛ أنثـــى التناقضـــات، كانـــت تلـــك ســـمتي: أبكـــي فرحًـــا، وأبتســـم خلـــف أطـــلال الحـــزن، علـــى أوتـــار التصـــدعات أعـــزف ســـمفونية العرجـــان بأقـــدام مكســـورة، لألحّـــن غنـــوة صـــمود

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

تتنـــاثر نوتاتهـــا بـــين أكنّـــة الألـــم، فيقـــرع قلبي على أهازيجها طبول الأمل.

أحــب كــوني الاجتماعيــة الانطوائيــة، أحيانًــا تغرينـــي جلســـةٌ رفقـــة رهـــطٍ مـــن الرفـــاق، تســـتهويني الأحاديـــث المصـــاحبة لرشـــفات الشـــاي، وتلـــك الضـــحكات التـــي يصـــبها الفؤاد في أقداح الألفة،

فتســكر النفــوس محبـــةً وخُلّـــة. وأحيانًـــا أخـــرى، تغتّنـــي فوضـــى الكـــلام، فـــأنزوي داخل حُلّة خيالٍ نسجتُها بخيوط الوحدة،

وأطـلّ مـن شـرفةٍ باتـت كبوابـة زمـنٍ منبلقـة فـــي الفضـــاء، تأخـــذني إلـــى البعيـــد، رفقـــة نســمات الأثيــر، تُلقــي علــيّ النجــوم تعويــذةَ الجنـــون، فـــأحلق بجنـــاحي حمامـــةٍ اشـــتاقت روحها لمعالم الهدوء،

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أرتمـــي بـــين أحضـــان القمـــر، ليـــداعب وجنتيّ ويروي لي خبايا عتمة الديجور.

أحـــب بـــراءة الطفولـــة، والهبـــل الـــذي يســـري بـــين عروقـــي مجـــرى الـــدم، لا أُبـــالي بأرقـــام العمـــر، ولا بمـــن أُجـــالس، فأنـــا تلـــك الأنثـــى التـــــي لا تقيّـــــدها الآراء، ولا النظـــــرات المشـــفّرة وظلـــم الأحكـــام، فلـــن تـــردع الطفلـــة التي بداخلي يوما أغلالُ الكِبَر.

معطـــاءة فـــي الحـــب، أُغرقـــك بـــين أمـــواج الهيـــام، وأُثبـــت براءتـــك أمـــام قاضـــي العشـــق، لكـــن إن انـــتفض بـــداخلي الكبريـــاء، ســـطّرتُ قـــوانين القســـوة، وحكمـــتُ علـــى حبّك بالإعدام!

ترانـــي أتمســـك بأناملـــك كمـــن يتنفســـك حـــدّ النخـــاع، أُمطـــر عليـــك أبجـــديات الهـــوى حـــدّ

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الغثيـــان، لكننـــي إن اختـــرتُ الصـــمت، فسأرفع لافتة الحروف البكماء.

لا تُـــراهن علـــى حـــدقتاي التـــي لا تـــرى ســـواك، فقـــد يـــأتي زمـــنٌ لا أراك فيـــه، ولـــو حطّت قدماك على رمش جفنيّ.

مميـــزةٌ أنـــا بحزنـــي وفرحـــي، بشـــوقي وانتظـــاري، بحبـــي وكرهـــي، بضـــحكتي وبكـــائي، بصـــمودي وانكســـاري، بـــوطنٍ يعـــانقني وســـط غربـــةٍ تعصـــف بـــي، بشـــمسٍ تليننـــي وســـط صـــقيعٍ يجمـــد قوالـــب أحاسيسي.

لا يُربكنـــي الحضـــور بقـــدر مـــا يُـــدميني الغيـــاب، لســـتُ مولعـــةً بـــأن يحبّنـــي الجميـــع، ولا تُزعزع خواطري عداوات الحاقدين،

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

فهم في قاموسي مجرّدُ معجبين، لكن بحسد!

لست هنا لأُشبه أحدًا...

أنا هنا فقط لأسمع من الكلام ما أريد، وأفتح مصراعي قلبي لمن أريد، وأخطّ على الدفاتر ما أريد.

ورغم اختلافي وتميّزي، أؤمن بأن البشر كألوان الطيف، مختلفون، لكن متفقون...

لذلك سأُحَبُّ بتميّزي، وسأُحِبُّ تميّز الآخرين.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أنا والقمر والثُّلث الأخير

انطوائيـــة أنـــا... بقـــدر مـــا قيـــل عنـــي أنـــي اجتماعية.

يراقبـــون أحـــاديثي وقهقهـــاتي مـــن مكـــانٍ مـــا، يُصـــغون إلـــى نصـــائحي، ويرجـــون أنســـي، ويشـــتاقون إلـــى مزاحـــي وجنـــوني، معجبـــون بنصـــفي المضـــيء كشـــمسٍ افترشـــت قلـــب الســـماء، لكـــن... مـــا إن تغـــرب شمســـي وتـــدلّي جـــدائلها الذهبيـــة على أسطح الشواطئ،

وتختـــرق أغصـــان الشـــجر، حتـــى يرحـــل كـــل من حولي.

بعـــد ســـويعة، يســـود الـــديجور عـــالمي، فأبيـــت كـــالقمر التعـــيس، النجـــوم متلألئـــة من حوله، لكنه وحيد.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

كنـــتُ نســـختته التـــي اختـــارت أن تـــنعكس علـــى ســـطح الأرض، تطـــوف الحشـــود مـــن حولي، لكني أظلُّ غير منتمية لأيٍّ منهم.

لا أحـــد يفهـــم غضـــبي، لا أحـــد يســـمع صـــمتي، لا أحـــد يـــدني كتفـــه لأســـتند عليـــه وأبكي.

انكشـــطت الأيـــام، وزاد وجعـــي، أمضـــيتُ سنيني تحت وطأة الخذلان...

لكننـــي وجـــدت بـــين ظلالـــي مـــن هـــو أقـــرب إليّ:

مـــن أُحادثـــه بـــأحرفٍ بكمـــاء فيســـمعني، مـــن يُجيبنـــي فـــي صـــمت، فأستشـــعر أنســـه ورحمتـــه بـــي، مـــن أَلجـــأ إليـــه فـــي أيّ وقـــت شـــئت، ولا يردّنـــي، بـــل يـــدعوني لأكـــون بـــين يديه في ثلث الليل الأخير...

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

اتخذتــه خليلــي، واســتغنيت عــن الأقنعــة التــي تبعثــرت، هــو نفســه مــن منحنــي العــوض، فبــثّ فــيّ شــغف التلاعــب بــأحرف لغــة الضــاد، فبــات الحبــر والــورق والقلــم رفــاق حزنــي وفرحــي، ومنبــع بــوحي، فمــا عــدتُ أُبــالي بمــن كنــتُ لهــم لوحــةً متكاملــةً تــزفُّ عــروسَ الصــداقة، ليُلبســوها الكفــن بدل فستان العُرس!

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

ماذا لو كنتُ شعورًا؟

لكنتُ فرحة الأم عند علمها بوجود قلب صغير ينبض بين أحشائها، أو الأمان الذي يجعل رضيعًا يبتسم وهو بين ذراعي والدته.

لكنتُ فرحة الداعي حين الاستجابة، واليقين المصاحب لدعاء الحاجة.

لكنتُ الأُنس الذي يحاوط ذاك الذي فارق الوسادة واختار قرب الله في أحب الأوقات إليه، والهدوء الذي تحمله نسمات الفجر، والأمل الذي يشق الآفاق وقت الفلق.

لو كنتُ شعورًا، لكنتُ الدفء الذي تنثره جدائل الشمس في فصل الربيع، وشعور اللجوء حين الجلوس برفقة البحر

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

والموج في فصل الصيف وقت الغروب، لكنتُ حنية صقيع ساحر بين أزقة ارتدت حُلّة الخريف، والإحساس بحياة جديدة قد بُثّت في العروق أثناء التبلل برذاذ المطر.

لو كنتُ شعورًا، لكنتُ الراحة بعد التعب، واليسر بعد العُسر، لكنتُ الوقوف على قدمٍ عرجاء بعد السقوط لمرات عدة.

لو كنتُ شعورًا، لكنتُ فرحة النجاح، والسعادة وقت لَمّة العائلة، لكنتُ حُبًّا دون مقابل، وهيامًا لا يندثر.

لكنتُ الانتماء وقت البكاء على كتف صديق، ورجفة الأطراف حين استقبال رسالة من حبيب.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لــو كنــتُ شــعورًا، ســأكون البُشــرى بالجنــة، وفرحة تحرر فلسطين.

لــو كنــتُ شــعورًا، لكنــتُ حتمًــا كــل مــا هــو جميل.

***

نسمات الادب للنشر الإلكترونى

بين اليقين والدُّعاء

أحببتك...

أحببتـــك بعيـــون أنهكهـــا العمـــى، فلـــم تبصـــر سواك.

أحببتـــك بمســـامع صُـــمّت عـــن كـــل قبـــيح يُقـــال عنك.

أحببتـــك، وأنـــا أعلـــم أنـــي كلّمـــا عقـــدتُ عقـــدةً، كانـــت هنـــاك أيـــدٍ تقطـــع ثَنِيَّـــةً أخـــرى مـــن حبـــل الـهيام.

أحببتـــــك رغـــــم المســـــافات، رغـــــم الـــــويلات، رغم ما في القلب من وجعٍ لا يُقال.

أحببتـــك صـــمتًا... بقلـــبٍ يصـــرخ كـــلّ ليلـــة، ولا يســـمعه ســـواي. صُـــمتُ ســـنينًا عـــن رؤيتـــك وســـماع صـــوتك، فـــي حـــين أن الله قد فرض صيام شهرٍ، رأفةً بالعباد...

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أحببتــــك، فكنـــت المحـــرَّم قـــدرا، والمُبـــاح فـــي حضن الدَّعوات.

أحببتـــــك، فكنـــــت الحـــــرب بـــــين المســـــتحيل ويقين لا يُضام

أحببتــــك بقلـــب أقســـم ألّا يجهضـــك، قصـــيًّا كنت أم دنوت.

***